شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد

المؤلف

سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في جامعة الملك سعود.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤١٠٥
جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

King Saud University
Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA
No. الرقم : Date التاريخ :
٤١٠٥
ف ٣/٨٦٥

وطلع قال وقوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون الآية روى الامام احمد و
الترمذي وحسنه وجرير وابن ابي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه و
تجعلون رزقكم انكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا وهذا
اولى ما فسرت به الآية وروي ذلك عن ابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء
الخراساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه استدلال المصنف
رحمه الله بالآية قال ابن القيم رحمه الله اي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي بين ايديكم
التكذيب به يعني القرآن بدل الحسنى وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن انكم
تكذبون قال وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن الا التكذيب قوله
عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربع في امتي من
امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم
والنياحة وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران
ودرع من جرب رواه مسلم ابو مالك اسمه الحارث بن الحارث الشامي صحابي تفرد
عنه برواية ابو سلام وفي الصحابة ابو مالك الاشعري اثنان غير هذا قوله اربع
في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن سيفعلها هذه الامة اما مع العلم بتحريمها او
مع الجهل بذلك مع كونها من اعمال الجاهلية المذمومة المكروهة المحرمة والمراد بالجاهلية
هنا ما قبل المبعث سموا بذلك لغرط جهلهم وكل ما في الغالب ما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم فهو جاهلية فقد خالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من امورهم او اكثرها و
ذلك بتدبر القرآن ومعرفة السنة ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف ذكر فيه
ما خالف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجاهلية فبلغ مائة وعشرين مسألة قال
شيخ الاسلام رحمه الله تعالى اخبر ان بعض امر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذم الميت لم يتركه
وهذا يقتضي ان كل ما كان من امر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الاسلام والالم
يكد في اضافة هذه المنكرات الى الجاهلية دم لها ومعلوم ان اضافتها الى الجاهلية خرج
مخرج الذم وهذا كقوله لا يزال في امتي من امر الجاهلية الاولى فاخر في ذكر ذم الشيء
وذم الحال الجاهلية الاولى وذكر يقتضي للشيء من مشابهتهم في الجملة قوله والفخر
بالاحساب التعاظم على الناس بالآباء والمآثر وذكر جهل عظيم اذ الاكرم الا بالتقوى
كما قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال لنعاد اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الامر آمر وعلا صالحا الآية ولابي داود عن ابي هريرة مرفوعا ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية
وفخرها بالآباء انما هو مؤمن تقي او فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ليدعن
رجال فخرهم بأقوام انما هم فحم من فحم جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان قوله و
الطعن في الانساب اي الوقوع فيها بالعيب والنقص ولما عير ابو ذر رضي الله عنه رجلا
بامه قال النبي صلى الله عليه وسلم اعيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية فدل على ان الطعن في
الانساب من عمل الجاهلية وان المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية
وهي دينية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ونفسقه قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى قوله
والاستسقاء بالنجوم اي نسبة المطر الى النوء وهو سقوط النجم كما اخرج الامام احمد وابو
داود عن جابر السوائي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخاف على امتي ثلاث
استسقاء بالنجوم وحيف السلطان وتكذيبا بالقدر وفي لهم مطرنا بنجم
كذا او بنوء كذا فلا يخلو اما ان يعتقد ان لله تعالى في هذا الوقت حكمة في انزال المطر فهذا شرك وكفر
وهو الذي يعتقده اهل الجاهلية بما عتقادهم ان دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعا
او يدفع عنهم ضرا او انهم يشفع بدعائهم اياه فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله
صلى الله عليه وسلم بالنهي عنه وقتال من فعله كما قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله والفتنة الشرك وامان يقول مطرنا بنوء كذا فمثله لكنه مع اعتقاده
ان المؤثر هو الله وحده لكنه اجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم والصحيح
انه يحرم نسبة ذلك الى النجم ولو عاطريق المجاز فقد صرح به المنقح في الفروع بانه يحرم
قول مطرنا بنوء كذا وجزم في الاقناع بتحريمه وعاطريق المجاز ولم يذكر خلافا وذكر
ان القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره الى مخلوق مسخر
لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له (هامش) فيكون ذلك شركا اصغر والله اعلم قوله والنياحة
اي رفع الصوت بالندب على الميت لانها تسخط الرب وتضاد الرضا بقضاء الله وذكر بناني الصبر الواجب
وهو اظهار الشكوى الوجد والعقوبة قوله التاجة اذا لم تتب قبل موتها فيه تنبيه على ان التوبة
تكفر الذنب وان عظم هذا مجمع عليه في الجملة وتكفر ايضا الحسنات الماحية والمصائب في الدنيا
المسلي بعضهم لبعض وبالشفاعة باذن الله وعفو الله عن من شاء ممن لا يشرك به شيئا
وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعا ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه احمد والترمذي
وابن ماجة وابن حبان قوله تقام يوم القيمة وعليها سربال قطران ودرع من جرب قال

بيان
اوانه

القرطبي السربال واحد السرابيل وهي القمص يعني انهن يلطخن بالقطران فيكون
لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار باجسادهن اعظم وارتفاعها انتن والمها بسبب الجرب
اشد وروى عن ابن عباس ان القطران هو النحاس المذاب قال وعن زيد بن خالد
قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف
اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن
بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء
كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين
وقيل غير ذلك وله خمس وثمانون سنة قوله صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بنا فاللام بمعنى الباء قال
الحافظ وفيه طلاق ذكر مجازا وانما الصلاة لله قوله بالحديبية بالمهملة وتخفف بئر بها وتثقل
قوله على اثر سماء كانت من الليل بكسر المهملة وسكون المثلثة على المشهور وهو بالعقب الشيء
قوله سماء اي مطر لانه ينزل من السحاب والسماء يطلق على كل ما ارتفع قوله فلما انصرف اي
من صلاته اي التفت الى المأمومين كما يدل عليه قوله اقبل على الناس ويحتمل انه اراد السلام
هل تدرون لفظ استفهام ومعناه التنبيه وفي النسائي الم تسمعوا ما قال ربكم الليلة وهذا
من الاحاديث القدسية وفيه الفاء العالم على اصحابه المتعلم ليخبرهم قوله قالوا الله ورسوله
اعلم فيه حسن الادب للمسؤول اذا سئل عما لا يعلم ان يكل العلم الى عالميه وذكر يجب قوله اصبح من
عبادي الاضافة هنا للعموم بدليل التقسيم الآتي ومؤمن وكافر كقوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم
مؤمن قوله مؤمن بي وكافر اذا اعتقد ان للنوء تاثيرا في انزال المطر فهذا كفر لانه شرك في الربوبية
والمشرك كافر وان لم يعتقد ذلك فهو الشرك الاصغر لانه نسب نعمة الله لغيره ولان الله لم
يجعل النوء سببا لانزال المطر فيه وانما هو فضل الله ورحمته بحسب ما اقتضاه وبتقديره اذا شاء
ودل هذا الحديث على انه لا يجوز لاحد ان يضيف افعال الله الى غيره ولو على سبيل المجاز وايضا الباء
تحتمل معان وكلها لا تصدق بهذا اللفظ فليست للسببية ولا للاستعانة لما عرفت ان هذا باطل ولا
تصدق ايضا لانها للمصاحبة لان المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء وانما يجيء المطر في الوقت
الذي اراد الله مجيئه فيه برحمته وحكمته وفضله فتعين معنى تحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه فتعين
فتظهر علة هذا التحريم هذه اللفظة مطلقا لفسادها المعنى وقد تقدم القطع بتحريمه في كلام صاحب الفروع
والانصاف قال المصنف عفا الله وفيه التفطن للايماء في هذا الموضع يشير الى انه ارتخاص
قوله فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته الخ وصفناه به ومذهب اهل السنة والجماعة

الترجمة

ان ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات كالحياة والعلم وصفات
الافعال كالرحمة التي يرحم بها عباده كلها صفات قائمة بذاته ليست قائمة بغيره فتفطن
لهذا فقد غلط فيه طوائف **وفي** الحديث ان النبي صلى الله لا يجوز ان تضاف الا الله وحده و
هو الذي عقد عليها وحده وهذه حال اهل التوحيد **قوله** واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا
الخ تقسيم صالح يتعلق بذلك **قال المصنف** رحمه الله وفيه التفطن للكنز في هذا
الموضع يشير الى ان نسبة النعمة الى غير الله كفر ولهذا قطع بعض العلماء بتحريمه وانه لم يعتقد
تاثير النوء بنزول المطر فيكون من كفر النعم لعدم نسبتها الى الذي انعم بها ونسبتها الى غيره
كما سيجيء في قوله تعالى يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها قال القرطبي في شرح حديث زيد
ابن خالد وكانت العرب اذا طلع نجم من المشرق وسقط آخر من المغرب فجر عند
ذلك مطر او ريح فمنهم من ينسبه الى الطالع ومنهم من ينسبه الى الغارب نسبة ايجاد
واختراع ويطلقون ذكر القول المذكور في الحديث فنهى الشارع عن اطلاق ذكر ذلك
لعقد احد اعتقادهم ولا ينسبه بهم في نطقهم انتهى **قول** فمنهم من ينسبه نسبة ايجاد يدل
على ان بعضهم لا يعتقد ذلك خالقا ولكن شاهد انهم من نزل من السحاب بعد ان كان بعيدا عن
هوائها الآية فدل على ان منهم من يعرف ويقر بان الله هو الذي انزل المطر وقد يعتقد هؤلاء
ان للنوء فيه شيئا من التاثير والقرطبي في شرحه لم يصرح ان العرب كلهم يعتقدون ذلك
المعتقد الذي ذكره فلا اعتراض عليه لاحتمال المذكور **قول** وفي حديث ابن عباس
بمعناه وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فانزل الله هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم
الى قوله تكذبون وبتقطر عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد
صدق نوء كذا وكذا فانزل الله هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم هذا قسم من الله عز وجل يقسم
بما شاء من خلقه على ما شاء وجواب القسم انه لقرآن كريم فلكون لا صلة لتاكيد النفي فتفقه
ان الكلام ليس الامر كما زعمتم في القرآن انه سحر او كهانة بل هو قرآن كريم قال ابن جرير
قال بعض اهل العربية معنى قول فلا اقسم فليس الامر كما تقولون ثم استانف القسم بعد
فقيل اقسم بمواقع النجوم قال ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من
السماء العليا الى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا في السنين بعدهم قرأ ابن عباس هذه الآية ومواقعها
نزولها شيئا بعد شيء وقال مجاهد مواقع النجوم مطالعها ومشارقها واختار هذا ابن جرير

وعلى هذا

وعلى هذا فتكون المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن من وجوه **احدها** انه
النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات
الغي والجهل فتكون هداية في الظلمات الحسية والقرآن هداية في الظلمات المعنوية فجمع بين
الهداية مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة وفي القرآن من الزينة الباطنة ومع ما في النجوم
من الرجوم للشياطين وفي القرآن من رجوم شياطين الجن والانس والنجوم آيات للمشهود
العيانية والقرآن آياته المتلوة المسموعة مع ما في مواقعها عند الغروب من الدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول وصرح بالقسم صلى الله عليه وسلم وانه لقسم
لو تعلمون عظيم قال بعضهم كثير وان هذا القسم الذي اقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته
لعظمة المقسم به عليه **قول** انه لقرآن كريم هذا هو المقسم عليه وهو القرآن اي انه وحي الله
وتنزيله وكلامه لا كما يقول الكفار انه سحر او كهانة او شعر بل هو قرآن كريم اي عظيم كثير الخير
لانه كلام الله **قال ابن القيم** رحمه الله تعالى فوصفه بما تقتضيه حسنه وكثرة خيره
ومنافعه وجلالته فان الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو كل شيء احسنه و
افضله والله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف
به ما اخبر به وحضر عظمه في النبات وغيره ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن قال
الاخفش الكريم اسم جامع لما يحمد والله تعالى كريم جميل الفعال وانه لقرآن كريم يحكم ما فيه
من الهدى والبيان والعلم والحكمة **قوله** في كتاب مكنون اي في كتاب معظم محفوظ فوقه
قال ابن كثير وقال ابن القيم رحمه الله تعالى اختلف المفسرون في هذا فقيل هو اللوح
المحفوظ والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملائكة وهو المذكور في قوله في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة ويدل على انه الكتاب الذي بايدي الملائكة قوله
لا يمسه الا المطهرون فهذا يدل على انه بايديهم يمسونه **قول** لا يمسه الا المطهرون قال ابن
عباس رضي الله عنهما لا يمسه الا المطهرون قال الكتاب الذي في السماء وفي رواية لا يمس الا المطهرون
يعني الملائكة وقال قتادة لا يمسه عند الله الا المطهرون فاما في الدنيا فانه يمسه المجوسي النجس
والمنافق الرجس واختار هذا القول كثيرون منهم ابن القيم رحمه الله تعالى ورجحه وقال
اي زيد عمت قريش ان هذا القرآن تنزلت به الشياطين فاخبر الله تعالى انه لا يمسه الا
المطهرون كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين الى قوله انهم عن السمع لمعزولون قال ابن كثير هذا
قول جيد وهو لا يخرج عن القول قبله وقال البخاري رحمه الله تعالى صحيح في هذه الآية لا

يجد طعم الايمان به قال ابن القيم رحمه الله هذا من اشارة الآية وتنبيهها وهو ان العالم
يلتذ به ويفرح آنه وفهمه ونوره الايمان يشهد به انه كلام الله تكلم به حقا وانزله على رسوله
وحالا ينال معانيه الا محل بكر في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه وقال آخرون الايمان
الا الطهور من الجنابة والحدث قالوا ولفظ الآية خبر ومعناه الطلب قالوا والمراد بالقرآن
هاهنا الصحف واحتجوا باخذ بكر بمارواه مالك في الموطأ عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم انه لا يمس القرآن
الا طاهر وقول تنزيل من رب العالمين قال ابن كثير هذا القرآن منزل من الله رب العالمين
وليس كما يقوله الرافضة انه سحر وكهانة او شعر وهو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق
نافع وفي هذه الآية انه كلام الله تكلم به قال ابن القيم رحمه الله ونظم هذا الكلام حق العقل
من وقت نزله روح القدس من ربه بالحق وهو اثبات علو الله تعالى على خلقه فان
النزول والتنزيل الذي تعقله العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من اعلى الى
اسفل ولا يرد عليه قولك انزل لكم من الانعام ثمانية ازواج لانا نقول ان الذي
انزلها فوق سمواته فانزلها الينا منه قال ابن القيم رحمه الله وذكر التنزيل مضافا
الى رب بينه للعالمين المستلزمة لملكه لهم وتصرفه فيهم وحكمه عليهم واحسانه اليهم
وانعامه عليهم وهو هذا القرآن مع انكم تكيفونه بكيفية ما هو بريء منها ثم تبدونها
سدى وبددتم هذا وخلقتم عبادا يرونها ولا يشبهونها ولا يعاقبهم فمن
اقرب الى رب العالمين اقرار ان القرآن تنزيل على رسوله واستدل بكونه من رب العالمين
على ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به وهذا الاستدلال اقوى واشرف من
الاستدلال بالمعجزات والخوارق وان كانت دلالتها اقرب الى اذهان عموم الناس
وتكلم الناس على خواص العقلاء قوله (ايهذا الحديث انتم مدهنون) قال مجاهد
اتريدون ان تمالوهم فيه وتركنوا اليهم قال ابن القيم رحمه الله تعالى وتخصيص عاد
ضعيف الادهان في غير موضعها وانه يلهون فيما حقه ان يصدع به ويعرف به ويعض عليه
بالنواجذ وهذا شيء عليه الخواص وتعقد عليه الطلوب والافئدة وعارب وسالم
لاجله ولا يلتفت عنه ولا يسترخ ولا يكن للقلب التفات الى غيره ولا محاكمة
الا اليه ولا مخاصمة الا به ولا الهدى في طرق المطالب العالية الا منه ولا
شفاء الا به فهو روح الوجود وحياة العالم ومدار السعادة وفائدة الفلاح

الخاص

وطريق

وطريق النجاة وسبيل الرشاد ونور البصائر فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه ولم ينزل
للمداهنة وانما نزل بالحق والحق والمداهنة انما تكون في باطل قوي لا تمكن ازالته او في
حق ضعيف لا تمكن اقامته فيحتاج المداهن الى ان يدر كبعض الحق ويلتزم بعض الباطل فاما
الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن به قوله ويجعلون رزقكم انكم تكذبون تقدم الكلام عليها
اول الباب والله سبحانه وتعالى اعلم قوله باب قول الله تعالى ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله الآية لما كانت محبته سبحانه هي اصل دين الاسلام الذي
عليه قطب رحاه فبكمالها يكمل وبنقصها ينقص توحيد الانسان قوله باب قول الله
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية قال في شرح المنازل اخبر سبحانه انه من
اتخذ من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله اندادا فهو اند في المحبة لا في الخلق و
الربوبية فان احدا من اهل الارض لا يثبت هذا الند بخلاف الند في المحبة فان كثيرا من اهل الارض
قد اتخذوا من دون الله اندادا في الحب والتعظيم ثم قال تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وفي تقدير
الآية قولان احدهما والذين آمنوا اشد حبا لله من اهل الاند اد لاندادهم واصنامهم التي
يحبونها ويعظمونها من دون الله وروي بن جرير عن مجاهد في قوله يحبونهم كحب الله
مباهاة ومضاهاة للحق بالانداد والذين آمنوا اشد حبا لله من الكفار لاوثانهم ثم
روى عن زيد قال هو آية المشركين اندادهم آلهتهم الثاني والذين آمنوا
اشد حبا لله من المشركين بالانداد لله فان محبة الموحدين خالصة ومحبة اصحاب الانداد
قد ذهبت انداده بقسط منها والمحبة الخالصة اشد من المشتركة والقولان مرتبان على
القولين في قوله تعالى يحبونهم كحب الله فان هنا قولين ايضا احدهما يحبونهم كما يحبون
الله فيكون قد اثبت لهم محبة لله ولكنها محبة مشتركة فساوى الله تعالى اندادهم
ان المعنى يحبون اندادهم كما يحب المؤمنون الله ثم بين تعالى ان محبة الموحدين لله اشد من
محبة اصحاب الانداد لاندادهم وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يرجح القول الاول ويقول
انما دعوا بالمشركين الى التسوية بين اندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له وهذه
التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم وهم في النار انهم يقولون لآلهتهم واندادهم وهي
محضرة معهم في العذاب تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم
ما سووهم برب العالمين في الخلق والربوبية وانما سووهم في المحبة والتعظيم وهذا ايضا

هو العدل المذكور في قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم وقال تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وهذه تسمى آية المحبة قال بعض السلف ادعى قوم محبة
الله فانزل الله تعالى آية المحنة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الشارة الى دليل المحبة وثمرتها
وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفائدتها وثمرتها محبة الله سبحانه فلما لم
تحصر المتابعة فلا محبة لم حاصلة ومحبة لكم منتفية وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذ رجا المؤمنين اغرق رجا الكافرين يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وذكر لهم اربع علامات احدها انهم اذلة على
المؤمنين قيل معناه ارقاء رحماء مشفقين عاطفين عليهم فالضمن اذلة هذا المعنى عداه
بادا على قال عطاء رحمة الله للمؤمنين كالولد للوالد وكالعبد لسيده وعلى الكافرين كالاسد
على فريسته اشداء على الكفار رحماء بينهم العلامة الثالثة الجهاد في سبيل الله تعالى
بالنفس واليد واللسان وذكر تحقيق هو المحبة العلامة الرابعة انهم لا
تأخذهم في الله لومة لائم وهذا علامة صحة المحبة فكل محب اخذه اللوم عن محبوبه فليس
بمحب على الحقيقة وقال تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه فذكر للعلماء الثلاثة اخص وهو ابتغاء القربة الله والتوسل
اليه بالاعمال الصالحة ورجاء رحمته وخوف عذابه فدل على ابتغاء الوسيلة امر زائد على رجاء الرحمة
وخوف العذاب وهو المطلوب قطعا انه لا يتنافس الا في قرب من يحب قربه ومحبته يتبع
المحبة ذاته بل محبة ذاته اوجبت محبة القرب منه وعند الجهمية والمعتزلة لا مذكر شيء فانه
عندهم لا تقوم ذاته شيء ولا يقوم به شيء ولا يحب لذاته ولا يحب فانكروا حياة
القلوب ونعيم الارواح وبهجة النفوس وقرة العيون واعلا نعيم الدنيا والآخرة والذكر
ضربت قلوبهم بالقسوة وضرب وجوههم ودبرهم دون الله محجوبا على معرفته ومحبته فلا يعرفونه
ولا يحبونه ولا يذكرونه الا عند تعطيل اسمائه وصفاته فذكرهم اعظم آثامهم واوزارهم
بل يعاقبون من يذكره باسمائه وصفاته ونعوت جلاله وربوبيته بالادواء التي هم احق
بها واهلها وحسبك ذا البصيرة وحياة القلب ما يرى على كل احد من القسوة لو
المقت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده والله المستعان فقال رحمه الله تعالى
ايضا لا تحد المحبة بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء فحدها وجودها

ولا

مطلب تعريف المحبة

ولا توصف المحبة بوصف اظهر منه المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها
وشواهدها وثمراتها واحكامها واجمع ما قيل في ذكر ما ذكره ابو بكر الكتاني رح عن الجنيد رح
قال ابو بكر جرت عنده في المحبة عكة اعزه الله في ايام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان
الجنيد اصغرهم سنا فقالوا له ايها فلعندك يا عراقي فاطرق راسه ودمعت عيناه ثم قال جمد
ذاهبة عنه نفسه متصل بذكر ربه قائم بادائه حقوقه ناظر الله بقلبه محترق السر قلبه
انوار هيبته وصفا شربه من كاس مودته وانكشف له الحجاب فاستبان غيبه فان تكلم
فبالله وان نطق فعن الله وان تحرك فبامر الله وان سكن فمع الله فهو لله وبالله ومع الله فقال
الشيوخ وقالوا ما على هذا فزيد جزيت خيرا يا تاج العارفين وذكر رحمه الله
ان الاسباب الجالبة لمحبة الله عشرة احدها قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما اريد به
الثاني التقرب الى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض الثالث دوام ذكره على كل حال
باللسان والقلب والحال فتصير من المحبة على قدر هذا الرابع ايثار محابه على محابك عند
غلبات الهوى الخامس مطالعة القلب لاسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه
المعرفة وميادينها السادس مطالعة بره واحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة السابع
وهو عجيبها انكسار القلب بين يدي الله عز وجل وهو من اقرب ما يكون الله العبد وقت النزول الالهي
ذلك بالاستغفار والتوبة الثامن مجالسة المحبين والصادقين والتقاط طيب
كلامهم ولا تتكلم الا اذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت ان فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك العاشر
مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل فهذه الاسباب العشرة توصل المحب
الى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب وقوله وقل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
قول احب اليكم مما سواهما الآية اي امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتوعد من احب اهله و
ماله وعشيرته وتجارته ومسكنه ما ثرها او بعضها على محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله
ورضاها كالمحب لهم والجهاد وكره ذلك قال العماد رحمه الله تعالى اي اذا كانت هذه الاشياء احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا اي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه روى ابو داود
والنسائي من حديث ابي عبد الرحمن السلمي عن عطاء آخر اساني عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد
سلط الله عليكم ذلا لا ينزع عنكم حتى ترجعوا دينكم فلا بد من انكار ما احبه الله من عبده وارادة
عكس ما يحبه العبد ويريده فيحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله ويوالي فيه ويعادي فيه ويتابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في آية المحنة ونظايرها قوله وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مطلب في محبة الله

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين اخرجاه شرح البخاري
وسلم قوله لا يؤمن احدكم اي الايمان الواجب والمراد كماله حتى يكون الرسول احب الى العبد من ولده ووالده
والناس اجمعين بل ولا يحصل هذا الكمال الا بان يكون الرسول احب اليه من نفسه كما في حديث ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول الله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال والذي
نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك فقال له عمر فانك الآن احب الي من نفسي فقال الآن
يا عمر رواه البخاري فمن قال ان المعنى هو الكمال فان اراد الكمال الواجب الذي يذم تاركه و
يعرض للعقوبة فقد صدق وان اراد ان المعنى الكمال المستحب فمن لم يقع قط في كلام الله و
رسوله صلى الله عليه وسلم قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فمن ادعى محبة النبي صلى الله عليه وسلم بدون
متابعته وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب كما قال تعالى ويقولون آمنا بالله وبالرسول
واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين فنفى الايمان عمن تولى عن
طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لكن كل مسلم يكون محبا بقدر ما معه من الاسلام وكل مسلم لا بد
ان يكون مؤمنا وان لم يكن مؤمنا الايمان المطلق لان ذلك لا يحصل الا لخواص المؤمنين قال
شيخ الاسلام رحمه الله وعامة الناس اذا اسلموا بعد كفر او ولد واعلم الاسلام والتزموا
شرائعه كان نوع اهل الطاعة لله ورسوله فهم مسلمون وصار لهم ايمان مجمل لكن دخول حقيقة الا
يمان الى قلوبهم مفصلا شيئا فشيئا وان اعطاهم الله ذلك دفعة والا فلتدرج الناس لا يصلون
الى اليقين ولا الى الجهاد ولو شكوا او لم يرتابوا بالجهاد لما جاهدوا فاذل عندهم
من علم اليقين ما يدفع الريب ولا عندهم من ذوق الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الاهل والمال
فهو لاء اذا عوفوا من المحنة ومانوا دخلوا الجنة وان ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات
توجب ريبهم فان لم تبن لهم بما يزيل الريب والا صار عندهم ما يثابون به وان تثاقلوا
الى نوع من النفاق انتهى وفي هذا الحديث ان الاعمال من الايمان لان المحبة عمل القلب
وفيه ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة بل اعظم المحبة لله لازمة لها فانها محبة لله وبما
جاء به يزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها وكل من كان محبا لله فانما
يحب في الله وبما جاء به كما يجب الايمان والعمل الصالح وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب
الشرك كالاعتماد عليه وطلب حاجاته في حصول امر مرغوب فيه او دفع مرهوب منه وما كان

فيها كما يجب ذكر فمحبة مع الله لما فيها من التعلق على غيره والرغبة اليه من دون الله فبهذا
يحصل التمييز بين المحبة في الله والاجل التي هي من كمال التوحيد وبين المحبة مع الله التي هي محبة
الاندادمن دون الله لما يتعلق بقلوب المشركين من الالهية التي لا تجوز الا لله وحده
قوله وفيها شرح البخاري ومسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان
يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار وفي رواية لا يجد
احد حلاوة الايمان حتى الى آخره تقدم ذكر اي ثلاث خصال قوله من كن فيه وجد
فيه تامة قوله وجد بها حلاوة الايمان الحلاوة هنا هي التعبير عنها بالذوق لما يجده
بدنه لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه وهي شيء محسوس يجده اهل الايمان في قلوبهم
قال السيوطي في التوشيح وجد حلاوة الايمان فيه استعارة تخييلية شبه رغبة
المؤمن في الايمان بشيء حلو واثبت له لازم ذلك الشيء واضافه اليه وقال النووي
معنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق واثار ذلك على اغراض الدنيا و
محبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن
معاذ حقيقة الحب في الله ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء قوله ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما يعني بالسوداء ما يجب الانسان بالطبع كمحبة الولد والمال والازواج ونحوها
فيكون احب هنا عاديا وقال الخطابي المراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع انتهى
قال وامحبة الشرعية التي تقدم بيانها فقليلها وكثيرها يناني محبة الله ورسوله
وفي بعض الاحاديث اجعوا الله بكل قلوبكم فمن علامات محبة الله ورسوله ان يحب ما يحبه الله
ويكره ما يكرهه الله ويؤثر مرضاته على ما سواه ويسعى في مرضاته ما استطاع ويبعد عن ما
حرمه الله ويكرهه اشد الكراهة ويتابع رسوله ويمتثل اوامره وينتهي بنواهيه كما قال تعالى من
يطع الرسول فقد اطاع الله فمن آثر امرا غير امره على امره وخالف ما نهى عنه فذلك علامة عدم
محبته لله ورسوله فاه محبة الرسول من لوازم محبة الله فمن احب الله واطاعه احب الرسول واطاعه
ومن لا فلا كما في اية المحنة ونظائرها والله المستعان قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان لانه وجد الحلاوة للشيء
تتبع المحبة له فمن احب شيئا واشتهاه اذا حصل مراده فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور

بذكر واللذة امر حاصل عقيب ادراك الملائم الذي هو المحبوب والمشتهى قال فحلاوة الايمان هي
المتضمنة للذة والفرح يتبع كمال محبة العبد لله وذكر ثلاثة امور لتكميل هذه المحبة وتفريعها
ودفع ضدها فتكميلها ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فان محبة الله ورسوله لا يكتفى
فيها باصل الحب بل لا بد ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما **قلت** ومحبة الله
تعالى تستلزم محبة طاعته فانه يحب من عبده ان يطيعه والمحب يحب ما يحبه محبوبه ولا بد
ومن لوازم محبة الله ايضا محبة اهل طاعته كمحبة انبيائه ورسله والصالحين من عباده
فمحبة ما يحبه الله هي من كمال الايمان كما في حديث ابن عباس الآتي قال وتفريعها ان
يحب المرء لا يحبه الا لله قال ودفع ضدها ان يكره ضد الايمان كما مر ان يقذف في النار انتهى
قوله احب اليه مما سواهما فيه جمع ضمير اسم سبحانه وضمير رسوله صلى الله عليه وسلم وفيه قولان احدهما
انه ثنى الضمير هنا على الاداة المعتبر هو المجموع المركب من المحبين لا كل واحد فانها وحدها
لاغية وامر بالافراد في حديث الخطيب اشعارا بان كلا واحد من العصيانين مستقل بالتزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوف فيه بالحكم
الثاني حمل حديث الخطيب على الادب والاولى وهذا على جواز وجواب ثالث وهو
ان هذا ورد على الاصل وحديث الخطيب نادر فيكون ارجح **قوله** كما يكره ان يقذف في النار
اي يستوي عنده الامران وفيه رد على الغلاة الذين يتوهمون ان صدور الذنب من
العبد ينقض عقد محبته مطلقا وان تاب عنه **والصواب** انه ان لم يتب كان ناقصا وان
تاب فلا وبهذا كان المهاجرون والانصار رضي الله عنهم افضل هذه الامة مع كونهم
في الاصل كفارا فهداهم الله الى الاسلام والاسلام يجب ما قبله وكذلك التوبة كما صح الحديث
بذلك قوله وفي رواية لا يجد احد هذا الرواية اخرجها البخاري في الادب صحيحة ولفظه
لا يجد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا يحبه الا لله وحتى ان يقذف في النار احب اليه من
ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه وحتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وقد تقدم ان المحبة هنا عام لما يجد المؤمن من اللذة والحكمة والسرور والاجلال
والهيبة ولوازم ذلك قال الشاعر

اهابك اجلالا ومابك قدرة ... على وملء العين حبيبها

قوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من احب في الله وابغض في الله ووالى في الله وعادى في الله

بيان والبهجة

من قوم هو عليهم عامة مواخاة الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيئا
واشهد ... اخرج ابن ابي شيبة وابن ابي حاتم الجملة الاولى منه فقط **قوله** واحب
هو الواجب على اهل الايمان بالله وطاعته من اطر ذلك **قوله** وابغض في الله اي ابغض من
ذلك بالله واشرك به وفسق عن طاعته لاجل ما قطع مما يسخط الله وان كانوا
... الناس اليه كما قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
... الآية **قوله** ووالى في الله هذا والذي قبله من لوازم محبة العبد لله تعالى فمن احب الله تعالى
والى اولياءه وعادى اهل معصيته وابغضهم وجاهد اعداءه ونصر انصاره
وكلما قويت محبة العبد لله قويت هذه الاعمال المترتبة عليها وكلما نقصت محبة العبد
ويكون ضعفها عما قد ... ضعف محبة العبد لربه فتفاوت مستكثر ومحروم **قوله** فانما تنال
ولاية الله بذلك اي تولية لعبد وولاية بفتح الواو اي الاخوة والمحبة والنصرة وبالكسر
الامارة والمراد هنا الاول ولا حمد والطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجد العبد ضرع الا
يمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب ابغض لله فقد استحق الولاية لله وفي حديث
آخر اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله عز وجل رواه الطبراني **قوله** ولن يجد عبد طعم
الايمان الخ اي لا يصل الى ذوق الايمان ولا يكون من اهله وسروره والا كثرة صلاته وصومه حتى يكون
كذلك اي حتى يحب لله ويبغض لله ويعادي في الله ويوالي فيه وفي حديث ابي امامة وفوعا
من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان رواه ابو داود **قوله** وقد صارت
عامة مواخاة الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيئا اي لا ينفعهم بل يضرهم كما قال الله
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا كانت البلوى قد عمت بهذا في زمن ابن عباس
فهي في هذه القرون بما زاد الامر بعد ذلك الاشد حتى وقعت الموالات على الشرك والبدع والفسوق
والعصيان وقد وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم في قوله بدئ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما
بدئ وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والانصار في عهده بينهم صلى الله عليه وسلم وبعد
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما يوثر بعضهم بعضا على نفسه محبة لله وتقربا اليه كما قال تعالى ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقد مررنا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما منا احد احق بدينار ولا درهم من اخيه المسلم رواه ابن ماجه **قوله** وقال
ابن عباس في قوله وتقطعت بهم الاسباب قال المودة هذا الاثر رواه عبد بن حميد وابن
جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه **قوله** قال المودة اي التي كانت في الدنيا فانتهى احوج ما كانوا

شبكة الألوكة www.alukah.net

من قوم هود عليه السلام انهم قالوا ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه الآية وقال تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوهم فان الاوثان يخافونها ويخوفون بها اهل التوحيد اذا انكر ولعبا دتها ودعا باخلاص التوحيد لله وحده هذا ينافي التوحيد الثاني ان يترك الانسان ما يجب عليه خوفا من بعض الناس فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد وهذا هو سبب نزول هذه الآية كما قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الآيات وفي هذا الحديث ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رأيت المنكر الا تغيره فيقول رب خشيت الناس فيقول اياي احق ان تخشى

الثالث الخوف الطبيعي وهو الخوف من عدو او سبع او غير ذلك فهذا لا اثم فيه كما قال تعالى في قصة موسى فخرج منها خائفا يترقب الآية ومعنى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه اي يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وخافوه وهذا من معاني الآية ويحتمل ان المعنى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوا غير الله ولا تخافوا امر هم الا لقصر وا خوفهم على الله فلا تخافون الا اياه وهذا هو الاخلاص الذي امر الله به عباده وفرضه عليهم فاذا اخلصوا لله الخوف وجميع العبادة اعطاكم ما رجوتم وامنهم من مخاوف الدنيا والآخرة كما قال تعالى الم يكف عبده ويخوفونك بالذين من دونه الآية قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ومن كيد عدو الله انه يخوف المؤمن من جنده واوليائه ليقلل جهادهم بمخاوفهم عن ذلك واخبر تعالى ان هذا من كيد الشيطان وتخويفه وبهذا ان تخافه قال والمعنى عند جميع المفسرين يخوفكم باوليائه قال قتادة يعظمهم في صدوركم فكلما قوي ايمان العبد زال الخوف من اولياء الشيطان من قلبه وكلما ضعف ايمانه قوي خوفه منهم فدلت هذه الآية على ان اخلاص الخوف من شروط الايمان قوله وقول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله الآية اخبر تعالى ان مساجد الله لا يعمرها الا من آمن بالله واليوم الآخر الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم واخلصوا لله الخشية دون من سواه فاثبت لهم عمارة المساجد بعد ان نفاها عن المشركين لان عمارة المساجد بالطاعة والعمل الخالص الصالح والمشرك وان عمل فعمله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا او كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وما كان كذلك فالعدم خير منه فلا تعمر المساجد عامرة الا بالايمان الذي يعظم الله التوحيد مع العمل الصالح الخالص من سوائب الشرك والبدع وكل ما دخل في مسمى الاثم المطلق عند اهل السنة والجماعة قوله ولم يخش الا الله قال به عطية يريد خشية التعظيم و

الهتنا وثبر ابعضهم من بعض كما قال تعالى انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا الآية قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى اذا تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وقطعت بهم الاسباب وصاروا على الهدى وانتباعهم ادعوا انهم على طريقتهم ومنهاجهم وهم مخالفون لهم مباينون لهم ويزعمون ان فيهم نفعهم مع مخالفتهم فيتبرأ كل منهم يوم القيمة فانهم اتخذوهم اولياء من دون الله وهذا حال من اتخذ من دون الله وليجة واولياء يوالي لهم ويعادي لهم ويرضى لهم ويبغض لهم فاما اعمال القلوب باطلة يراها يوم القيمة حسرات عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه فلم يجد منها الا ما كان لله وبالله وفي سبيل الله عز وجل وذكر العمل كله وقطع تلك الاسباب فينقطع يوم القيمة كل سبب ووصلة وكل مسلك ومودة كانت لغير الله ولا يبقى الا السبب الواصل بين العبد وربه وهو حظه من الوجهة اليه والى رسوله وتجريد عبادته وهذا يلازم معاني الحب والبغض والعطاء والمنع والموالاة والمعاداة والتقريب والابعاد وتجريد متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم تجريد غير عليه فهذا السبب هو الذي لا ينقطع بصاحبه وهذه هي النسبة التي بين العبد وبين ربه وهي نسبة العبودية المحضة وهي اخص نسبة تكون فما يكون الا لله اله الخلق جميعه ولا تتحقق الا بتجريد متابعة الرسل صلى الله عليهم وسلم اذ هذه العبودية انما جاءت على السنتهم وعلى ايديهم ولا سبيل اليها الا بمتابعتهم وقد قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فهذه هي الاعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم ولغير وجهه يجعلها الله هباء منثورا لا ينتفع منها صاحبها بشيء لفسادها هذا من اعظم الحسرات على العبد يوم القيمة ان يرى سعيه ضائعا وقد سعى اهل السعي النافع بسعيهم اشد ما يكون فرحا

قوله باب قول الله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين الخوف من افضل مقامات الدين واجلها واجمع انواع العبادة التي يحب اخلاص لله تعالى لربنا وهم وحشية مفقود وقال تعالى فلا تخافوهم واخافوني ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال تعالى واياي فارهبون وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشون واشال هذه الآيات في القرآن كثير والخوف من حيث هو على ثلاثة اقسام احدها خوف السر وهو ان يخاف من غير الله من وثن او طاغوت ان يصيبه بما يكره كما قال تعالى

مكرر

والعبادة والطاعة ولا في الدار الانسان ان الانسان يخشى المحاذير الدنيوية وسنبين ان يخشى في ذلك كله
قضاء الله وتصريفه وقال ابن القيم رحمه الله تعالى الخوف عبودية القلب فلا يصلح الا لله كالذل
والانابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب قوله فعني اولئك هم المهتدون قال ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول اولئك لهم الهدى ولهم وكل عبد في القرآن
فهو واجبة وفي الحديث اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان قال الله
تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر رواه احمد والترمذي والحاكم قوله
ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال ابن كثير رحمه الله
تعالى يقول تعالى مخبرا عن قوم يدعون الايمان بألسنتهم ولم يثبت في قلوبهم انهم اذا اجانهم محنة
اعتقدوا انها من نقمة الله بهم في رتدوا عن الاسلام قال ابن عباس رضي الله عنه يعني فتنة
اي ارتد عاد بها اذا اوذي في الله وقال ابن القيم رحمه الله تعالى الناس اذا ارسلت الهم الرسل
بينت امرين اما ان يقول احدهم آمنا واما الا يقول ذلك بل يستمر على الشهادة والكفر فمن
قال آمنا امتحن بربه وابتلاه وفتنه والفتنة الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق الكاذب
ومن لم يقل آمنا فلا يحسب انه يعجز الله ويفوته ويسبقه فهم آمنوا بالرسل واطاعهم عادله لعذا
عهم وآذوه فابتلي بما يفعله ومن لم يؤمنهم عوقب في الدنيا والآخرة وحصل
له ما يؤلمه وكان هذا الالم اعظم واشد من الم اتباعهم فلا بد من حصول الالم لكل نفس آمنت او
عنت عن الايمان لكن الموعد يحصل له الالم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة
والمعرض عن الايمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير في الالم الدائم والانسان لا بد ان يعيش
مع الناس والناس لهم ارادات وتصورات فيطلبون منهم امورا ان يوافقهم عليها وان
لم يوافقهم آذوه وعذبوه وان وافقهم حصل له العذاب تارة فهم وتارة من غيرهم
كما عنده ذم وتعلق حل عند قوم فمحا ربظلمه وان يتمكنوا من فجورهم وظلمهم الا بموافقتهم
له وسكوته عنهم فان وافقهم او سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء ثم يتسلطون عليه
بالاهانة والاذى اضعاف ما كان يخافه ابتداء لو انكر عليهم وخالفهم وان سلم منهم فلا بد
ان يهان ويعاقب على يد غيرهم فالحزم كل الحزم في الخوف من الله قالت ام المؤمنين عائشة
رضي الله عنها لمعاوية رضي الله عنه ايما رضي الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن ارضى
الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا فمن هذه الله والله رشيد ووقاه شر نفسه
فمنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة

كما كانت

كما كانت للرسل واتباعهم ثم آخر عوقال الداخل في الايمان بلا بصيرة وانه اذا
اوذي في الله جعل فتنة الناس له وهي اذاهم وظلمهم اياه بالمكروه وهو له لم الذي لا بد ان ينال
الرسل واتباعهم ممن خالفهم جعل ذلك مانعا من فراره عنه وتركه السبب الذي يناله به عذاب
الله الذي فر منه المؤمنون بالايمان فالمؤمنون بكمال بصيرتهم فروا من الم عذاب الله الى الايمان
وحملوا ما فيه من الالم الزائل الفارد عن قرب وهذا من الضعف بصيرته فرمن الم الاعداء
الرسل الى موافقتهم ومتابعتهم ففر من الم عذابهم الى الم عذاب الله فجعل الذي فتنة
الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله وغيره كل الغين اذ استجار من الرضاء بالنار
ففر من الم ساعة الى الم الابد واذا نصر الله جنده وليه قال الذي معكم والله اعلم بما انطوى عليه
صدره من النفاق الشر وفي الآية رد على المرجئة والكرامية ووجهه انه لم ينفعهم هؤلاء
قولهم امنا بالله مع عدم صبرهم على اذى من عاداهم في الله فلا ينفع القول والتصديق بدون
العمل فلا يصدق الايمان الشرعي على الانسان الا باجتماع الثلاثة التصديق بالقلب و
عمله والقول باللسان والعمل بالاركان وهذا قول اهل السنة والجماعة سلفا وخلفا
والله سبحانه وتعالى اعلم وفيه الخوف من مداهنة الخلق في الحق والمعصوم من عصمه الله قوله
عن ابي سعيد مرفوعا ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله وان تحمدهم على
رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية
كاره هذا الحديث رواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي واعله بحجر بن مروان السدوسي وقال الضعيف
وفيه ايضا عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين ومعنى الحديث صحيح وعلامة و
ان الله بحكمته جعل الرزق والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك قلت
والحديث وان كان ضعيف اسناده فمعناه صحيح قوله من ضعف اليقين الضعف بضم وتحرك
ضد القوة ضعف ككرم ونصر ضعفا وضعفا وضعافة وضعافة فهو ضعيف و
ضعوف وضعفاد والجمع ضعاف وضعفا وضعفة وضعف فضعافي والضعف في الرأي
بالضم في البدن فهو ضعيفه وضعوف واليقين كمال الايمان قال ابن مسعود اليقين الايمان
كله والصبر نصف الايمان رواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد في حديث مرفوعا
قال ويدخل في ذلك تحقيق الايمان بالقدر السابق كما في حديث ابن عباس مرفوعا فان
استطعت ان تعمل بالرضى في اليقين فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وفي رواية قلت يا رسول الله كيف اصنع باليقين قال ان تعلم ان ما اصابك لم
يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك قوله ان ترضي الناس بسخط الله اي تؤثر رضاهم

وبيان وتمامه

على رضى الله وذلك اذا لم تعلم بقلبك اعظام الله واجلاله وهيبته ما يمنعك استجلاب رضى
المخلوق بما يجب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي تتصرف في القلوب ويفرج الكروب
ويغفر الذنوب وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك لانه آثر رضى المخلوق على
رضى الله وتقرب اليه بما يسخط الله ولا يسلم من هذا الا من سلمه الله ووفقه لمعرفته ومعرفة
ما يجوز على الله من اثبات صفاته على ما يليق بجلاله وتنزيهه تعالى عن كل ما ينافي كما
ومعرفة توحيده في ربوبيته والاهيته وبالله التوفيق **قوله** وان تحمدهم على رزق الله اي
على ما وصل اليك من ايديهم بان تضيفه اليهم وتحمدهم عليه كان المتفضل هو الله وحده
الذي قدر لك واوصله اليك واذا اراد امرأ قبض اسبابه ولا يناقض هذا حديث من لا يشكر
الناس لا يشكر الله لان شكرهم انما هو بالدعاء لهم بكون الله ساقه على ايديهم فقد عوالهم
او تكافيهم لحديث من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا
انكم قد كافئتموه فاضافة الصنيعة اليهم تكون بهم صارت اسبابا في ايصال المعروف اليك
والذي قدره وساقه هو الله وحده **قوله** والله لتنهم على ما لم يوتك الله لانك لم تقدر لك ما
طلبته على ايديهم فلو قدر لك لساقه المقادير اليك **قوله** من علم انه المتفرد بالعطاء والمنع
هو الله وحده وانه هو الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يمنع مخلوقا
على رزق ولم ينعم على منع ونعوض امره الى الله ويعتمد عليه في امر دينه ودنياه وقد قيل هذا
المعنى بقول في الحديث ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره كما قال تعالى ما
يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم **قال الشيخ**
رحمه الله اليقين يتضمن اليقين في القيام بامر الله وما وعد الله اهل طاعته وليتضمن اليقين
بقدر الله وخلقه وتدبيره فاذا ارضيتهم بسخط الله لم تكن موفقا لا بوعده ولا بر زقه فانه
انما يحمل الانسان على ذم اما مل الى ايديهم فيترك القيام فيهم بامر الله لما يرجو منهم
واما ضعف تصديقه بما وعد الله اهل طاعته من النصر والتاييد والثواب في الدنيا والاخرة
فاذا رضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم وارضاهم بما يسخط انما يكون خوفا
منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين واذا لم تقدر لك ما تظن انهم يفعلونه معك
فالامر في ذلك الى الله لانهم فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فاذا ذممتهم على ما لم يقدر كان ذلك
من ضعف يقينك فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تتهمهم من جهة نفسك وهواك وتكلم برحمة الله
ورسوله في المحمود ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم ولما قال بعض وقد بني قصرا اي قصر اعطني
فاه حديدا زبره وذهبا شبره قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك المرود لاحد يك على الا على عمل يزيد
في ينقص وان

قوله

قوله وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال من ارضى الله بسخط الناس رضي الله
عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس ٥
الشيخ هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ ورواه الترمذي عن رجل من اهل
المدينة قال كتب معاوية رضي الله عنه الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا
تكثري علي فكتبت عائشة رضي الله عنها الى معاوية اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضى الناس بسخط
الله لم يغنوا عنه من الله شيئا والسلام عليك ورواه ابو نعيم
قوله من التمس اي طلب فقال **الشيخ** السلام وكتبت عائشة الى معاوية ورويت انها
رفعته من ارضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن ارضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله
شيئا هذا اللفظ المرفوع واللفظ الموقوف من ارضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس
ومن ارضى الناس بسخط الله عاد حامده ذاما وهذا من اعظم الفقه في الدين فان من ارضى الله بسخطهم
كان قد اتقاه وكان حقيقا ان يرضى الله عنه ويرضي عنه الصالحين والله كافيه عندهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وانما يكفيه مؤنة الناس بما رتب وما كون آلة الناس كلهم برضون عنه فقد لا
يحصل ذلك لكن يرضون عنه اذا سلموا من الاغراض واذا تبين لهم العاقبة ومن ارضى الناس بسخط
الله لم يغنوا عنه من الله شيئا كالظالم الذي يعض على يده وآكلو الحامض ينقلب ذاما فهذا يقع
كثيرا ويحصل في العاقبة فان العاقبة للتقوى لا تحصل ابتداء عند اهوائهم انتهى **قال الشيخ**
قال ٨ اذا صح منك الود يا غاية المنى ٨ فكل الذي فوق التراب تراب
قال بعض العلماء رحمه الله فمن تحقق ان الكل مخلوق فوق التراب فهو فوق التراب فكيف يقدم طاعة من هو فوق التراب
على طاعة رب الارباب ايام كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب ان هذا لشيء عجاب وفي الحديث
عقوبة بخمس في الناس وآخر شر رضاهم عن الله فان العقوبة قد تكون رفع الدرجة عافانا الله من ذلك
كما قال تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
قوله باب **الشيخ** قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قال ابو السعادات
توكل بالامر اذا ضمنه القيام به ووكلت امري الى فلان اذا اعتمدت عليه ووكل فلان فلانا اذا استكفاه امره
ثقة بكفايته او عجزا عن القيام بامر نفسه انتهى وايراد المصنف رحمه الله تعالى هذه الآية في التوكل
فريضة يجب اخلاصه لله تعالى فان تقديم المعمول يفيد الحصر اي وعلى الله فتوكلوا لا على غيره فهو من اجمع انواع
العبادة واعظمها لما اشتملت عليه من الاعمال الصالحة فانه اذا اعتمد على الله في جميع امور الدينية والدنيوية
ووثق بوعده صح اخلاصه ومعاملته مع الله تعالى فهو من اعظم منازل اياك نعبد واياك نستعين فلا يحصل
كمال التوحيد بنوعيه الا بالتوكل على الله كما في هذه الآية وكما قال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان
كنتم مسلمين وقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا والاباء في الاصل الامتناع

قال الامام احمد رحمه الله تعالى التوكل عمل القلب وقال ابن القيم في معنى الآية المترجم بها فجعل التوكل على الله شرطا في الايمان فدل على انتفاء الايمان عند انتفائه وفي الآية الاخرى قال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فجعل دليل صحة الاسلام التوكل وكلما قوي ايمان العبد كان توكله اقوى واذا كان توكله ضعيفا كان دليلا على ضعف الايمان ولابد والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والايمان وبين التوكل والتقوى وبين التوكل والاسلام وبين التوكل والهداية فظهر ان التوكل اصل لجميع مقامات الايمان والاحسان ولجميع اعمال الاسلام وان منزلته منها بمنزلة الجسد من الرأس فكما لا يقوم البدن الا على الرأس فكذلك لا يقوم الايمان و مقاماته واعماله الا على ساق التوكل قال الشيخ الامام رحمه الله تعالى وهو راجع الى مخلوق او لا تعلق عليه الاخبار ظن فيه فانه حشر وهو مشرك بالله وقاعا خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق قال الشارح رحمه الله قلت لكن التوكل قسمان احدهما التوكل في الامور التي لا يقدر عليها الا الله كالذي يتوكل على الاموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر وجوهم او رزق او شفاعة فهذا شرك اكبر والثاني التوكل في الاسباب الظاهرة كمن توكل على امير او سلطان فيما اقدره الله تعالى عليه من رزق او دفع اذا ونحو ذلك فهو نوع شرك اصغر والوكالة الجائزة هي توكيل الانسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه كما ليس لمن يعتمد عليه في حصول ما وكله فيه بل يتوكل على الله في تيسير امره الذي بطلبه بنفسه او نائبه وذلك في حمل الاسباب التي عجز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي اوجد السبب فالمتوكل المؤمن الذي وصفه الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فاذا وجلت ارتفعت رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وجعل القلق من الله يلزم القيام بفعل ما امر به وترك ما نهى عنه قال السدي الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هو الرجل يريد ان يظلم او قال يهم بمعصية فيقال اتق الله فيجل قلبه رواه ابن ابي شيبة وابن جرير وقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا استدل الصحابة رضي الله عنهم والتابعون ومن بعدهم بهذه الآية ونظائرها على زيادة الايمان ونقصانه قال عبد الرزاق حدثنا حبيب الصحابي ان الايمان يزيد وينقص فقيل وما زيادته ونقصانه قال اذا ذكرنا الله وخشيناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه رواه ابن ابي

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا ابو زيد ثنا عمر بن ابي زائدة عن ابيه عن ابي اسحاق عن عبد خير قال قال علي الايمان يزيد وينقص وهو قول عمار ولابن ابي حاتم وحكى الاجماع على ذلك الشافعي واحمد وابو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى قوله وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين اليه امورهم فلا يرجون سواه ولا يقصدونه الا اياه ولا يخشون الا اليه يعلمون انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا شريك له وفي الآية وصفا المؤمنين حقا بثلاث مقامات من مقامات الاحسان وهي الخوف مما يذهب الايمان والتوكل على الله وحده وهذه المقامات تقتضي كمال الايمان وحصول اعمال الظاهر والباطن مثال ذكر الصلوة فمن اقام الصلاة وحافظ عليها وادى الزكاة كما امره الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات وترك جميع المحرمات قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكر الله اكبر ولقد نرى بها النبي حبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال ابن القيم رحمه الله تعالى اي الله وحده كافيك وكافي اتباعك فلا تحتاج معه الى احد وهذا اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وقيل المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون قال ابن القيم رحمه الله تعالى وهذا محض لا يحوج حمل الآية عليه فان الكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة قال الله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين فرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب لله وحده وجعل التأييد لنصره وبعباده فوائق على ان التوحيد من عباده حسب افرده بالحسب فقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهم يقولون لو حسبنا الله ورسوله ونظير هذا قوله سيغنينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فتامل وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله وجعل الكسب وحده فلم يقل وقالوا حسبنا الله ورسوله بل جعل الخاص صفة كما قال تعالى انا الى الله راغبون فجعل الرغبة اليه وحده كما قال انا الى ربنا راغبون فالرغبة والرهبة والانابة والكسب لله وحده كما ان العبادة لله وحده والتقوى والخشية والانذار والحلف لا يكون الا بالله وحده وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة فاذا كان هو الكافي لعبده وجب ان يتوكل الا عليه ومتى التفت بقلبه الى سواه وكله الله اليه كما في الحديث من تعلق شيئا وكل اليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال ابن القيم اي كافيه ومكفيه ما اهمه فما مطمع لعدو فيه ولا يضره الا اذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش واما ان يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون ربك ووفق به الاذى الذي هو في الظاهر ايذاء وفي الحقيقة احسان ولضر بنفسه اذا اضر وبين الضرر الذي يشفي به منه قال بعض السلف جعل الله كل شيء قدرا فجعل قدر الشر التوكل عليه نفسه فقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه فلم يقل اكتفاء بذكر الاهم كما قال في الاعمال بل جعل نفسه سبحانه كافيا لعبده المتوكل عليه وحسبه ووافيه

فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والارض ومن فيهن لجعل له مخرجا ورزقه
وكفاه ونصه انه في آخر رواه احمد في الزهد عن وهب بن منبه قال الله عز وجل في بعض
كتبه بعزتي اني لو اعتصم بي فكادته السموات والارض ومن فيهن فاني اجعل له مخرجا ومن
لم يعتصم بي فاني اقطع يديه من اسباب السماء واخسف به من تحت قدميه الارض فاجعله في الهوى
ثم اكله الى نفسه كفا بي لعبدي حالا اذا كان عبدي في طاعتي اعطيته قبل ان يسألني واستجب له
قبل ان يدعوني فانا اعلم بحاجته التي ترفق به وفي الآية دليل على فضل التوكل وانه اعظم
الاسباب في جلب المنافع ودفع المضار لان الله تعالى علق اكفاء الاخبث على الاول بتعليق
الجزاء على الشرط فيمتنع ان يكون وجود الشرط كعدمه لان الله تعالى رتب الحكم على الوصف
المناسب فيعلم ان توكل هو سبب كونه الله حسبه فنبه فيها على القيام بالاسباب ومع
التوكل لانه تعالى ذكر التقوى ثم ذكر التوكل كما قال تعالى واتقوا الله وعلى الله فلتوكل
فجعل التوكل مع التقوى الذي هو قيام بالاسباب المامور بها فالتوكل به وهو القيام بالاسباب
المامور بها عجز محض والاكان حشوا بنوع من التوكل فلا ينبغي للعبد ان يجعل توكله عجزا
ولا عجزه توكلا بل يجعل توكله في جلب الاسباب التي لا يتم المقصود الا بها كلها ومعنى
بمعناه قال ابن عباس رضي الله عنهما قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم
حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه البخاري ش قوله حسبنا الله اي كافينا فلا نتوكل الا عليه قال
ابن عباس الله بكافي عبده قوله ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه كما قال تعالى واعتصموا بالله هو مولاكم
فنعم المولى ونعم النصير وخصوص نعم محذوف تقديره هو قال ابن القيم رحمه الله هو حسب
من توكل عليه وكافي من لجأ اليه وهو الذي يؤمن خوفنا ويجير المستجير ممن ناواه ويستصرخ
من استنصره ويتوكل عليه وانقطع بكليته اليه حفظه وحرسه وصانه ومن خافه وانقاه
امنه ما يخاف ويحذر وجلب اليه ما يحتاج اليه من المنافع قوله قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم
حين القي في النار قال تعالى قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم الآية قوله وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وذكر بعد منصرف
قريش من الاحزاب من احد بلغه ان ابا سفيان ومن معه قد اجمعوا الكرة عليهم فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا حتى انتهوا الى حمراء الاسد فالقى الله الرعب في قلب ابي سفيان

فرجع

فرجع الى مكة بمن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة
قال فهل انتم مبلغون محمدا عني رسالة قالوا نعم قال فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد
اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بحمراء الاسد فاخبره بالذي قال ابو سفيان فقال حسبنا الله ونعم الوكيل
ففي هاتين الغصتين فضل هذه الكلمة العظيمة وانها قول الخليل عليه السلام في
النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم في الامر العظيم فقولها اذا وقعتم في الامر العظيم
يا فعول الله تعالى افاضوا ذكر الله غلا ما ذكر الله الا القوم الخاسرون ش قصد
المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية التنبيه على ان الامن من مكر الله من اعظم الذنوب وانه ينافي كمال
التوحيد كما ان القنوط من رحمة الله كذلك وقد ذكر رشد الى ان المومن يسير الى الله بين الخوف
والرجاء كما دل على ذكر الكتاب والسنة واشار اليه السلف الائمة ومعنى الآية ان الله تبارك
وتعالى لما ذكر حال اهل القرى المكذبة للرسل بين ان الذي حملهم على ذلك هو الامن من مكر الله
وعدم الخوف فيه قال تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون الآية فمن امن مكر الله غلا ما من مكر الله الا القوم الخاسرون
اي الهالكون وذكر انهم امنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم فاستبعد واان يكون
ذلك مكرا قال الحسن رحمه الله من وسع الله عليه فلم ير انه يمكر به فلا رأي لمن لا يرى الا ظاهر
بعث النعم الا له وما اخذ الله قوما قط الا عند سلوتهم وغدرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله وفي
الحديث اذا رأيت الله يعطي العبد على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج رواه احمد وابن جرير
وابن ابي حاتم وقال اسمعيل بن رافع في الامن من مكر الله اقامة العبد على الذنب يتمنى على الله
المغفرة رواه ابن ابي حاتم وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف نسأل الله حلمه بالنعم اذا
عصوه ويملي لهم ليأخذهم اخذ عزيز مقتدر وهذا هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك ذكره
ابن جرير بمعناه قال صاحب وقول الله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ش القنوط استبعاد
الفرج واليأس منه وهو نقيض الامن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم وتقدم ما فيه لما فاته من كمال
التوحيد وذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه الآية مع التي قبلها تنبيها على انه لا يجوز لمن خاف الله ان
يقنط من رحمته كما قال تعالى هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه
وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله
غفور رحيم فالرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان ليوقع العبد في الخوف مع

ترك الاسباب المنجية من المهالك بخلاف حال اهل الايمان الذين اخذوا باسباب النجاة خوفا من الله تعالى
وهربا من عقابه وطمعا في المغفرة والرجا لثوابه والمعنى ان الله تعالى حكى قول خليله ابراهيم عليه
السلام لما بشرته الملائكة بابنه اسحق قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون لان العادة
ان الرجل اذا كبر سنه وسن زوجته استبعد ان يولد له منها واحد عادة كل شيء قدير فقالت الملا
نكتة بشرناك بالحق الذي لا ريب فيه فكان امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون به فلا تكن من
القانطين اي من الآيسين فقال عليه السلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون فانه يعلم
من قدرة الله ورحمته ما هو ابلغ من ذلك ولعظم ذلك قال الله اعلم قال تعالى بما وجه النعجب فقوله
الا الضالون قال بعض المحققين طريق الصواب او الا الكافرون وكفى بهذا تهويلا لامر اليأس من روح
الله الا القوم الكافرون فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن
الكبائر فقال الاشراك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله كذا في هذا الحديث
رواه البزار وابن ابي حاتم من طريق شعيب بن ابي بشر عن عكرمة عن ابن عباس ورجاله ثقات
الا شعيب بن بشر فقال ابن معين ثقة ولينه ابو حاتم وقال ابن كثير في اسناده نظر و
الاشبه ان يكون موقوفا قوله الشرك بالله هو اكبر الكبائر قال ابن القيم رحمه الله تعالى و
الشرك بالله هضم للربوبية ونقص للالهية وسوء ظن برب العالمين انتهى وتقدم وضح
قال تعالى ان الذين كفروا بربهم يعدلون وقال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وكذا لا يغفره الله
الا بالتوبة منه تعالى واليأس من روح الله اي قطع الرجا والامل من الله فيما نخافه ويرجوه
وذكر اساءة الظن بالله وجهل به وسعة رحمته وجوده ومغفرته فهو والامن من مكر الله
اي هو اشد راجع للعدو سلبه ما اعطاه من الايمان فهو ذنب بالله من ذنب وذكر جهل بالله و
بقدرته وثقة بالنفس وعجب بها واعلم ان هذا الحديث لم يرد به حصر الكبائر في الثلاث
بل الكبائر كثيرة وهذه الثلاث من اكبر الكبائر المذكورة في الكتاب والسنة وظاهر ما
قال المحققون من العلماء كل ذنب ختم له بنار اولعنة او غضب او عذاب فهو
شيخ الاسلام رحمه الله تعالى او نفي الايمان قلت وفي خبر ضعيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
او قال البيهقي فعل كذا وكذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي الى السبعين اقرب منها
الى سبع غير انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار قوله هو عن ابن
مسعود رضي الله قال اكبر الكبائر الشرك بالله والامن من مكر الله واليأس من روح الله رواه عبد الرزاق كذا
الياس من روح الله رواه عبد الرزاق كذا وروى ابن جرير بإسناد صحيح عن ابن مسعود

رضي الله عنه

وضي الله عنه قوله اكبر الكبائر الاشراك بالله اي هو اكبر من ربوبيته وعبادته وهذا بالاجماع قوله
والقنوط من رحمة الله قال ابن العربي هي اشد اليأس وفيه التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف
فاذا خاف فلا يقنط واليأس بكسر الجيم وقد تفتح وكان الاسلمي يحبوه ويقول هو في الصحة
الخوف في المرض الرجاء وهذا طريقة ابي سليمان الدارني وغيره قال وينبغي للقلب ان يكون
الغالب عليه الخوف فاذا غلب الرجاء فسد القلب قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين اي يخشون ربهم ويخافون عذابه وقال تعالى انهم الى ربهم راجعون
يقولون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون او يكمل يسارعون في الخيرات وهم لها
سابقون وقال تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه
الآية وقدم الحذر على الرجاء في هذه الآية قوله قال من الايمان باسه الصبر عند
اقدار الله قال الامام احمد رحمه الله تعالى ذكر الله تعالى الصبر في نحو مائة موضع من القرآن
كتابه الحديث وفي الحديث الصحيح الصبر ضياء رواه احمد ومسلم وللبخاري ما اعلم مرفوعا
ما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر قال عمر رضي الله عنه وجدنا خير عيشنا بالصبر رواه
البخاري قال علي رضي الله عنه ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ثم رفع صوته فقال الا
انه لا ايمان لمن لا صبر له واشتقاقه من صبر اذا حبس ضد الجزع والصبر حبس النفس عن الجزع
وحبس اللسان عن التشكي والتسخط والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما
ذكره ابن القيم واعلم ان الصبر ثلاثة اقسام صبر عما امر الله به وصبر عما نهى الله عنه وصبر
على ما قدر الله من المصائب قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ش اي الآية ما
صاحبه من مصيبة الا باذن الله اي بمشيئته وارادته وحكمته كما قال في الآية الاخرى ما اصاب من
مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها الآية وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصا
بتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال ابن عباس هو الرجل يصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى
ويسلم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وعلقمة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هو يعلى بن عبيد الطنافسي الكوفي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسمع من ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي وسعيد بن مسعود وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم وهو من كبار التابعين وعلمائهم
وثقاتهم مات بعد الستين قوله هو الرجل تصيبه المصيبة الى آخره قوله هذا الاثر رواه الاعمش عن
ابي ضبيان قال كنا عند علقمة فقرأ عليه هذا الاثر وزاد فيه ثم قال بيده هكذا قلبه يعني يسترجع
يقول انا لله وانا اليه راجعون قال هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم
هذا سياق جرير وفي هذا دليل على ان الاعمال من مسمى الايمان قال سعيد بن جبير ومن يؤمن
بالله يهد قلبه يعني يسترجع يقول انا لله وانا اليه راجعون وفي الاية بيان ان الصبر سبب
الهداية القلب وانها من ثواب الصابر قوله صدق في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت
اي هما بالناس كفر حيث كانتا من اعمال الجاهلية وهما فيهما بالناس وليستا منهما الا من كلمة الله تعالى
ورسوله علما وايمانا يستضيء به لكن من قام به شعبة من شعب الكفر تصير كافرا الكفر
المطلق وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله لبين بين العبد وبين الكفر والشرك الا ترك
الصلاة وبين كفر منكر في الاثبات قوله الطعن في النسب اي عيبه ويدخل فيه ان يقال هذا
ليس بفلان مع ثبوت نسبه قوله والنياحة على الميت اي رفع الصوت بالندب ونحوه فعلى
الميت لما فيه من النسخط المنافي على القدر المنافي للصبر تقول الناحة واعضداه وانا صواه
وغو ذكر وفيه دليل على ان الصبر واجب وان ترك الكفر مما لا ينقل عن الملة قوله اصل
ولهما عن ابن مسعود مرفوعا ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية
من هذا من نصوص الوعيد وقد جاء عن سفيان الثوري واحمد كراهة نكو بلها ليكون
اوقع في النفوس وابلغ في الزجر وهو يدل على ان ذلك ينافي كمال الايمان الواجب قوله
من ضرب الخدود قال الحافظ خص الخد لكونه الغالب والا فضرب بقية الوجه مثله
قوله وشق الجيوب هو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب وذلك عادة اهل الجاهلية
حزنا على الميت قوله ودعى بدعوى الجاهلية قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فورد
الميت وقال غيره هو الدعاء بالويل والثبور وقال ابن القيم رحمه الله تعالى الدعاء بدعوى
الجاهلية هو كالدعاء الى العصبية وقتله التعصب الى المذاهب والطوائف
والمشايخ وتفضيل بعض على بعض بدعوا الى ذكر ويوالي عليه ويعادي فكل هذا من دعوى
الجاهلية وعند احمد وصححه حبان عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن

الخامشة

الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور وهذا يدل على ان هذه الامور
من الكبائر وقد يعفى عن الشيخ الكبير في ذلك اذا كان صدقا وليس منه وجه النوح والنسخط
نص عليه احمد رحمه الله لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهف
في هذه الاحاديث ما يدل على النهي عن البكاء لما في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات
ابنه ابراهيم قال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون
وفي الصحيحين عن اسامة بن زيد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى احدى بناته ولها صبي
في الموت فرفع الصبي نفسه تقعقع كانها شن ففاضت عيناه فقال سعد ما هذا يا رسول الله
قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وفي لا يرحم لا يرحمه الله وانما يرحم الله من عباده الرحماء
قوله عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له
العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة رواه هذا الحديث
الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي واخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن مغفل واخرجه
عبد بن ابي شيبة والطبراني عن عمار بن ياسر قوله اذا اراد الله بعبده الخير عجل العقوبة في الدنيا
اي بسبب البلاء والمصائب عليه لما فرط منه من الذنوب منه فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافي
يوم القيمة قال شيخ الاسلام رحمه الله المصائب نعمة لانها مكفرة للذنوب وتدعو الى الصبر
فيثاب عليها وتقتضي الانابة الى الله والذل له والاعراض عن الخلق الى غير ذلك من المصالح
العظيمة التي عند نفس البلاء كفر الله به الذنوب واعطاها وهذا من اعظم النعم فالمصائب رحمة
ونعمة في حق عموم الخلق الا ان يدفعها صاحبها بسببها في معاصي اعظم مما كان قبل ذلك فتكون شرا
عليه من جهة ما اصابه في دينه فان من الناس من اذا ابتلي بفقر او مرض او جوع حصل له من الجزع و
النفاق و مرض القلب او ترك الظاهر او ترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له
الضرر في دينه فهذا كانت العافية خيرا له من جهة ما ادركته المصيبة لان جهة نفس المصيبة
كما ذكرنا انها توجب له نقص المصيبة صبر وطاعة كانت حقه فتعود فيه فيعينها فعل الرب
عز وجل ورحمته للخلق والله تعالى محمود عليها فمن ابتلي فرزق الصبر والرضا عوضه الله في
دينه وحصل له ما كفر من خطاياه ورحمه وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه قال تعالى اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات فمن قام بالصبر
الواجب حصل له ذلك انتهى ملخصا قوله واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه اي اخر عنه العقوبة
بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة هو بضم الياء وكسر الفاء منصوبا بحتى مبنيا للفاعل قال العزيزي
اي لانجازه به بذنبه في الدنيا حتى يجيء في الاخرة مستوفيا الذنوب وافيها فتوفي ما يستحقه
من العقاب وهذه الجملة هي آخر الحديث فاما قوله ص

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء الى آخره فهو حديث آخر لكن لما رواهما الترمذي
باسناد واحد وصحابي واحد جعلهما المصنف كالحديث الواحد وفيه التنبيه على حسن الرجا
وحسن الظن بالله فيما يقضيه لكما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم الآية قوله ص وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم البلاء مع عظم الجزاء
وان الله تعالى اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط حسنه الترمذي وكذا
قال الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن ابي حبيب عن سعد بن سنان عن انس
وذكر الحديث السابق قال وفي هذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء الحديث
ثم قال وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وروى هذا ابن ماجه وروى الامام احمد عن محمد بن
لبيد رفعه انهم اذا احب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع قال المنذري
بجا لد ثقات قوله ان عظم الجزاء بكسر العين وفتح الظاء فيهما ويجوز ضمهما مع سكون الظاء
من كاد ابتلاهم اعظم كمية وكيفية وقد يحتج بهذا الحديث من يقول ان المصاب يثاب عليها مع
تكفير الخطايا ورجح ابن القيم رحمه الله انه تثوبها تكفير الخطايا فقط الا اذا كانت سببا لعمل
صالح كالصبر والرضا والتوبة والاستغفار فانه حينئذ يثاب على ما تولد منها وعلى هذا يقال
في معنى الحديث انه عظم الجزاء مع عظم البلاء اذا صبر فاحتسب فوله وانه الله اذا احب قوما
ابتلاهم ولهذا ورد في حديث سعد سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل
فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلي على
قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة رواه الدارمي و
الترمذي وابن ماجه وصححه وهذا الحديث ونحوه من ادلة التوحيد فاذا عرف العبد ان
الانبياء والاولياء يصيبهم البلاء في نفوسهم الذي هو في الحقيقة رحمة ولا يدفعه عنهم
الا الله عرف انهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا دفعا فلا يتعلقون لغيرهم ادنى واجدى
فيحرم قصدهم والرغبة اليهم في قضاء حاجة وتفريج كربة وفي وقوع البلاء بالانبياء و
الصالحين من الاسرار والحكم والمصالح في العاقبة ما لا يحصى قوله فله الرضى اي من الله تعالى
وقد وصف الله تعالى نفسه في مواضع من كتابه كقوله تعالى جزاء بهم عند ربهم جنات عدن تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه وهذا هو الذي عليه السلف وائمة
اهل السنة اثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم
على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل فاذا رضي الله عنه حصل

له كل خير وسلم من كل شر والرضا هو ان يسلم العبد لربه اي الله ويحسن الظن به ويرغب فيما عنده وقد
يجد لذة بكثير راحة وانبساطا ومحبة لله تعالى وثقة به كما قال ابن مسعود ان الله بقسطه و
عدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط قوله
ومن سخط بكسر الخا قال ابو السعادات السخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به اي من سخط
على الله فيما دبر اي في خلق السخط اي من الله تعالى وكفى بذلك عقوبة وقد يستدل به على وجوب
الرضا وهو اختيار بعض عقد واختار القاضي عدم الوجوب وبعض شيخ الاسلام وابن القيم
قال شيخ الاسلام ولم يجزم الامر به كما جاء الامر بالصبر وانما حاء الثنا على الصابر قال ولما ما
يروى مرفوعا يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي فحسنه اسرائيلي ليس بصح عنه
النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى واعلم ان ذم ابي عثمان ان يشكر الله
على المصيبة لما يرى من انعام الله عليه بها انتهى والله اعلم قوله ص باب ما جاء في الرياء
الصابة تعصر رئة الناس لها فجورة صاحبها والغرق منه وبين السمعة اذ الرياء
لما يرى من العمل والسمعة لما سمع كالقراءة والوعظ والذكر والله يدخل في ذلك الحديث
بما عمل قوله ص وقول الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد الآية تمسك
اي ليس لي من الربوبية ولا من الالهية شيء بل ذلك كله لله وحده لا شريك له اوحاه الي فمن
كان يرجو لقاء ربه اي عافاه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قوله احدا نكرة
في سياق النهي تعم وهذا العموم يتناول الانبياء والملائكة والصالحين والاولياء وغيرهم
قال شيخ الاسلام رحمه الله واما الالتفات فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن
المعاينة وقالوا لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة وذكر الادلة على ذلك قال ابن
القيم رحمه الله تعالى في الآية اي كما انه الله واحد لا اله سواه فكذلك ينبغي ان يكون المعبود
له وحده لا شريك له فكما تفرد بالالهية يجب ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالص
من الرياء المقيد بالسنة انتهى وفي الآية دليل على ان اصل الدين الذي بعث الله به رسوله ص الله
عليه وسلم والمرسلين قبله هو افراده تعالى بانواع العبادة كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون والمخالف لهذا الاصل من جميع هذه الامة اقسام احاطة
بنازع الله في ربوبيته والهيته ويدعو الناس الى عبادته او طاغوت يدعو الناس الى عبادة الاوثان

كالصلاة صح

او شرك به عز غيره الله وتقرب اليه بانواع العبادة او بعضها او شارك في التوحيد اهو حق
ام يجوز ان يجعل لله شريك في عبادته او جاهل يعتقد انه اشرك دين يتعبد الى الله وهذا
هو الغالب على اكثر العوام لجهلهم وتقليدهم من قبلهم لما اشتد غيرة الدين ونسي العلم
بديه المرسلين قول صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن
الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه رواه مسلم قلت فمن عمل عملا اشرك فيه
معي غيري اي من قصد بعمله غيري في الظاهر تركته وشركه ولا يرد حاجة فانه هنا بريء وهو
للذي اشرك قال الطيبي الضمير المنصوب في قوله تركته يعود الى زائد يرجع الى العمل قال رح
رحمه الله تعالى واعلم ان العمل لغير الله اقسام فتارة يكون رياء محضا كحال المنافقين كما
قال تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وهذا
الرياء المحض لا يكاد يصدر من مومن في فرض الصلاة والصيام وقد يصدر في الصدقة
الواجبة او الحج الواجب وغيرها من الاعمال الظاهرة او التي يتعدى نفعها فانه الاخلاص
فيها غير وهذا العمل لا يثيب مسلم انه حابط وان صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة تارة
يكون العمل لله وبشاركه الرياء فان كان اصله لله كما دل عليه الصحيح المتقدم بطلانه و
ذكر احاديث تدل على ذلك منها هذا الحديث وحديث شداد بن اوس وفي عامر صلى
بمرائي فقد اشرك وفي صام يرائي فقد اشرك وفي تصدق يرائي فقد اشرك وان الله
عز وجل يقول انا خير قسيم لمن اشرك بي فمن اشرك بي شيئا فان قليله وكثيره
لشريكه الذي اشرك به انا عنه غني رواه احمد وذكر احاديث في المعنى ثم قال فان خالط
نيته الجهاد نية غير الرياء مثل ان خذ اجرة للخدمة او لخذ شيء من الغنيمة او التجارة نقص
بذلك اجر جهاده ولم يبطله بالكلية قال رح رحمه الله وقال الامام احمد رحمه الله التاجر
والمستاجر والمكري اجرهم على قدر ما يخلص في نياتهم في غزواتهم ولا يكون مثل من جاهد
بنفسه وماله لا يخلط به غيره وقال ابو نعيم بن حماد اذا لم يخرج لاجل الدراهم
فلا باس كانه خرج لدينه فان اعطي شيئا اخذه وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
قال اذا اجمع احدكم على الغزو فعوضه الله رزقا فلا باس بذلك واما ان اعطي دراهم

باب الغزو

غزا

غزا وان لم يعط لم يغز فلا خير في ذلك وروي عن مجاهد رحمه الله انه قال في حج التجار والاجراء وحج التاجر هو نام لا ينقص من اجرهم شيء اي لان قصدهم الاصلي ما هو الحج
دون التكسب فان كان اصل العمل لله ثم طرى عليه فيه الرياء فان كان خاطرا ثم
دفعه فلا يضره بغير خلاف وان استرسل معه فحابطه ام لا يجازى على اصل
نيته في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف فحكاه الامام احمد وابن جرير وجها
انه عمل لا يبطل بذلك وانه يجازى بنيته الاولى وهو مروي عن الحسن وغيره وفي هذا
المعنى جاء حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الرجل يعمل العمل ويحمده
الناس عليه فقال تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم انتهى ملخصا قلت
وتمام هذا المقام يتبين في شرح حديث سعد انشاء الله تعالى وقوله صلى الله عليه وسلم وعن ابي سعيد
رضي الله عنه وفوق كل ذي علم عليم عندي في المسيح الدجال قالوا ايلي
قال الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل رواه احمد
وروى ابن خزيمة في صحيحه عن محمود بن لبيد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايها الناس اياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر قال يقوم
الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الرجل اليه فذلك شرك السرائر قوله
عن ابي سعيد هو الخدري وتقدم قول الشرك الخفي سماه خفيا لان صاحبه يظهر انه عمل
لله وقد قصد غير الله وشرك فيه بتزيين صلاته لاجل وعن شداد بن اوس قد كنا نعد
الرياء عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاخلاص
ورواه ابن جرير في التهذيب والطبراني والحاكم وصححه قال بعضهم القسم واما الشرك الاصغر فكسير
الرياء والتصنع للمخلوق والحلف بغير الله ورد قول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت وهذا من الله
وملك وانا بالله وبك وما لي الا الله وانت وانا متوكل على الله وعليك ولولا الله وانت لم
يكن كذا وكذا وقد يكون هذا الشرك اكبر بحسب حال قائله وقصده انتهى والاخلاص
والاخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وتقدم انه لما نعى كما قال الفضيل رح عياض رحمه الله تعالى في قول
الله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه واصوبه قيل يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل
اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا
صوابا فالخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة وفي الحديث الفوائد شتى منها البحث عن
الدجال وفتنته وعلامته وان الله سبحانه وتعالى اخفى وقت الساعة على الصالحين من فتنة الدجال فاذا كان الله صلى
الله عليه وسلم يخاف على اصحابه الاولياء من فتنة الدجال فاذا كان الله صلى الله عليه وسلم يخاف على سادات الاولياء
اصغر واخبث باب الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا شن

فهل

فان قيل فما الفرق بين هذه الترجمة وبين ترجمة الباب قيل قلت بينهما عموم وخصوص مطلق
تجمعهما ارادة وهو اذا اراد الانسان بعمله الترائي عند الناس والتصنع لهم والثناء فهذا رياء كما
تقدم بيانه في المنافقين وهو ايضا اراد الدنيا بالتصنع عند الناس وطلب المنفعة
منهم والاكرام ونحوه فالرياء يكون في عمل الصالحات اراد به عرضا من الدنيا لكن يجاهد لها خذ حالا كما
في الحديث تعس عبد الدينار والجاهد للغنم او غير ذلك من الامور التي ذكرها شيخنا عن ابن عباس
وغيره من المفسرين في معنى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها واراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة
وما بعدها ان العمل لاجل الدنيا قد يكون في كمال التوحيد الواجب وكسب الاعمال وهو
اعظم من الرياء لان مريد الدنيا قد تغلب ارادته تلك على كثير من عمله واما الرياء فقد يعرض لذي عمل
وهو عمل ولا يستمر معه والمؤمن يكون جنديا من هذا وهذا فقوله من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كان
يريد الحيوة الدنيا اي تولها وزينتها اي مالها نوف لهم ثواب اعمالهم بالصحة والسرور في المال
والاهل والولد وهم فيها لا يبخسون ثم نسخت من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد الآية رواه النحاس في ناسخه قوله ثم نسخت اي قيدتها فلم تبق الآية على اطلاقها وقال
قتادة يقول من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي
الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء واما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب
عليها في الآخرة ذكره ابن جرير بسنده ثم ساق حديث ابي هريرة عند المبارك عن حيوة بن
شريح قال حدثني الوليد بن ابي الوليد ابو عثمان ان عقبة بن علقمة حدثه مسلم حدثه
ان شفي بن ماتع الاصبحي حدثه انه دخل المدينة فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس
فقالوا هذا ابو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما
سكت وخلا قلت انشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
عقلته وعلمته فقال ابو هريرة افعل لاحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا
البيت ما فيه احد غيري وغيرك ثم نشغ ابو هريرة نشغة شديدة ثم خر علوا وجهه واشتد
به طويلا ثم افاق فقال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم
القيمة نزل الى العباد ليقضي بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجلا جمع القرآن
ورجلا قتل في سبيل الله ورجلا كثير المال فيقول الله تبارك وتعالى للقاري الم اعلمك ما انزلت
على رسولي فيقول بلى يا رب فقال فماذا عملت فيما علمت فكنت اقوم آناء الليل وآناء النهار فيقول
الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان قاري فقد

فقد قيل ذلك وبني بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقال
بلى يا رب فيقال فما عملت فيما آتيتك فيقال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله له كذبت
وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك وبني بالذي
قتل في سبيل الله فيقول الله له فيما قتلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى
قتلت فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة له كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان
جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك
الثلاثة اول من تسعر بهم النار يوم القيمة **وقال** سئل شيخنا المصنف رحمه الله تعالى
عن هذا فاجاب بما حاصله ذكر عن السلف انواع مما يفعله الناس اليوم
ولا يعرفون معناه فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه
الله من صدقة وصلاة وصلة واحسان الى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الا
نسان او يتركه خالصا لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة انما يريد ان يحاز به امر
يحفظ ماله ونعمته او حفظ اهله وعياله او ادامة النعمة عليهم ولا نعمة له في
طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب
وهذا النوع ذكره ابن عباس النوع الثاني وهو اكبر من الاول واخوف وهو
ما ذكره مجاهد في الآية انها نزلت فيه وهو ان يعمل اعمالا صالحة وينيه رياء الناس
لا طلب ثواب الآخرة النوع الثالث ان يعمل اعمالا صالحة يقصد بها
مالا مثل ان يحج للمال يأخذه لله او يهاجر للدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها او يجاهد
لاجل المغنم فقد ذكر ايضا هذا النوع في تفسير هذه الآية وكما يتعلم الرجل لاجل
مدرسة اهله او مكسبهم او رياستهم او يتعلم القرآن ويواضب على الصلاة
لاجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثير النوع الرابع ان يعمل بطاعة الله مخلصا
في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفر يخرجه من الاسلام مثل اليهود
والنصارى اذا عبدوا الله او تصدقوا او صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة

شبكة الألوكة www.alukah.net

وضل كثير من هذه الامة الذين فيهم كفر او شرك اكبر يخرجهم من الاسلام بالكلية اذا اطاعوا الله
طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على عمل يخرجهم من الاسلام
وتمنع قبول اعمالهم فهذا النوع ايضا قد ذكر في هذه الآية عن انس رضي الله عنه وغيره و
كان السلف يخافون منها قال بعضهم لو اعلم ان الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت
الموت لان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين ثم قال بعضهم اذا عمل
الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة
ثم بعد ذلك عمل عملا لاقى صدره الدنيا مثل ان يحج فرضه لله ثم يحج بعده لاجل الدنيا كما
هو واقع فهو لما غلب عليه منها وقد قال بعضهم القرآن كثيرا ما يذكر اهل الجنة
الخلص واهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وامثاله
قوله ص وفي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميل ان
اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد
آخذ بعنان فرسه في سبيل الله اشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة
كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استأذن لم يؤذن له
وان شفع لم يشفع ش قوله في الصحيح اي صحيح البخاري قوله تعس هو بكسر العين
ويجوز الفتح اي سقط والمراد هنا هلاك قال الحافظ وقال في موضع آخر والمعروف ضد سعد
اي شقي وقال ابو السعادات يقال تعس يتعس اذا عثر وانكب لوجهه وهو
دعاء عليه بالهلاك قوله عبد الدينار هو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن
زنته درهم وثمن درهم قوله الدينار زنة الدرهم وثمن درهم قوله تعس عبد
الدرهم هو من الفضة قدره الفقهاء بالشعير وزنا وعندنا منه درهم من
ضرب بني امية وهو زنة خمسين حبة شعير وخمسا حبة سماه عبد الله الكوبة
هو المقصود بعمله فكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكا لله في عبوديته

كما هو

كما هو حال الاكثر قوله تعس عبد الخميصة قال ابو السعادات هو ثوب خز او صوف
معلم وقيل لا تسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة وتجمع على خمائص والخميل بفتح الخاء
المعجمة وقال ابو السعادات ذات الخمل من ثياب لها خمل من اي شيء كان قوله تعس وانتكس
قال الحافظ هو بالمهملة اي عاوده المرض وقال ابو السعادات اي انقلب على رأسه
وهو دعاء عليه بالخيبة قال الطيبي فيه الترقي عليه بالدعاء عليه بانه اذا تعس انكب على
وجهه فاذا انتكس انقلب على رأسه بعد ان سقط قوله واذا شيك اي اصابته
الشوكة فلا انتقش اي فلا يقدر على اخراجها بالمنقاش قال ابو السعادات والمراد
ان من كانت هذه حاله فلا بد ان يجد اثر هذه الدعوة من الوقوع فيما يضره في عاجل
دنياه وآجل آخرته قال شيخ الاسلام رحمه الله فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار
والدرهم وعبد الخميصة وعبد الخميل وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله
تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش وهذا حال من اذا اصابه شر لم يخرج منه
ولم يفلح بكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذا حال من
عبد المال وقد وصف ذلك بانه ان اعطي رضي وان منع سخط كما قال تعالى ومنهم من
يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون فرضاهم لغير الله
وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقا منها برياسة او صورة ونحو ذلك فمن
اهوى نفسه ان حصل له رضي وان لم يحصل له سخط فهذا عبد ما هواه من ذلك وهو يفرق
له اه الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب
واستعبده فهو عبد الى ان قال وهكذا ايضا طالب المال فان ذلك يستعبده و
يسترقه وهذه الامور نوعان فمنها ما يحتاج اليه العبد كما يحتاج الى طعامه وشرابه
ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه فيكون المال عنده
يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير ان
يستعبده فيكون هلوعا منوعا فلا يحتاج اليه العبد فهذا ينبغي ان لا يعلق قلبه بها
فاذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها وربما صار مستعبدا ومتعبدا لغير الله

فيها فلا ينبغي معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة
لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من احق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة وهذا هو
عبد لهذه الامور ولو طلبها من الله فان الله اذا اعطاه انها رضي والا متعسرا انها
سخط وانما عبد الله من رضيه ما يرضي الله وسخطه ما يسخط الله ويحب ما احب الله
ورسوله ويبغض ما ابغض الله ورسوله ويوالي اولياء الله ويعادي اعداء الله فهذا
الذي استكمل الايمان انتهى ملخصا قوله طوبى لعبد قال ابو السعادات طوبى
اسم الجنة وقيل هي شجرة فيها ويؤيد هذا ما روى بن وهب بسنده عن ابي سعيد
قال رجل يا رسول الله وما طوبى قال شجرة في الجنة حسنة مائة سنة ثياب اهل
الجنة تخرج من اكمامها ورواه الامام احمد حدثنا حسن بن موسى سمعت ليث
عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج ابو السمح ان ابا الهيثم حدثه عن ابي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك قال
طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني فقال له رجل وما طوبى
قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها ولهذا شواهد في الصحيحين
وغيرهما وقد روى بن جرير عن وهب منبه ههنا اثر غريب عجيب قال وهب رحمه الله
ان في الجنة شجرة تسمى طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها زهرها
رياط ودرقها برود وقضبانها عنبر وبطحاؤها ياقوت وترابها كافور وحصاها
مسك تخرج من اصلها انهار الخمر واللبن والعسل وهي مجلس لاهل الجنة بينما هم في
مجلسهم اذ اتتهم الملائكة من ربهم تقود نجبا مزمومة بسلاسل من ذهب وجوهها
كالمصابيح من حسنها وبرها كخز المرعزى من لينه عليها رحال الواحها من
ياقوت ودفوفها من ذهب وتنبا بهم سندس واستبرق فتنحني لهم وتقول
ان ربنا ارسلنا اليكم لتزوروه وتسلموا عليه قال فيركبونها قال فهي اسرع

من الطير

من الطاير واوطأ من الفراش نجيبا من غير مهنة يسير الراكب في جنب احدها وهو يكلمه
وبنا جبه لا تصيب اذن راحلة منها اذن صاحبتها ولا ترى راحلة ترك الاخرى
حتى ان الشجرة لتنحني عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل واخيه قال فيأتون الى الرجل
الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروه فاذا رأوه قالوا اللهم انت السلام
ومنك السلام وحق لك الجلال والاكرام قال فيقول انا ربكم وقد صدقتكم وعدي
ومني السلام وعليكم عقبة رحمتي ومحبتي مرحبا بعبادي الذين خشوني بالغيب
واطاعوا امري قال فيقولون ربنا ما لم تعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك
فأذن لنا بالسجود لك قال فيقول انها ليست بدار نصب ولا عبادة
ولكنها دار ملك ونعيم واني قد رفعت عنكم نصب العبادة فاسألوني ما شئتم
قال لكل رجل منكم امنية فيسألونه حتى ان افصرهم امنية ليقول ارضنا فسيح
اصل الدنيا في دنيانا فتضا بقوارب فاتني من كل شيء كان في دنيانا فما فوقها من يوم خلقها
الى ان انتهت الدنيا فيقول الله تعالى لقد قصرت بك امنيتك ولقد سألت
دون منزلتك هذا لك مني لانه ليس في عطائي ذي نكد ولا تصريد قال ثم
يقول اعرضوا على عبادي مما لم تبلغ اماني هم ولم تخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم
حتى تقصر بهم امانيهم التي في انفسهم فيكونون فيما يعرضون عليهم باذية مقرنة
على كل اربعة منها سرية من ياقوتة واحمة على كل سرية منها قبة من ذهب
مفوفة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة وفي كل قبة منها جاريتان من
الحور العين على كل جارية منهن سبعون ثوبا من ثياب الجنة وليس في الجنة لون الا
وهو فيها وارى طيب الا قد عبق بها ينفذ ضوء وجوهها غلظ القبة
حتى يظن من يراها انها دون القبة يرى مخها من فوق سوقها كالسلك الابيض في الياقوتة
حمر بريان لهن الفضل على صاحباتهن كفضل الشمس على الجارة او افضل ويرد لهما قبل ذلك
ثم يدخل اليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ويقولان لوالله ما ظننا ان الله خلق من

ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم الى منزلته التي اعدت له
وقد روى هذا الاثر ابو حاتم بسنده عن وهب بن منبه وزاد فانظروا الى مواهب ربكم
الذهبي وهب لكم فاذا قباب في الرفيق الاعلى وغرف مبنية بالدر والمرجان ابوابها من
ذهب وسررها من ياقوت وفرش من سندس واستبرق ومنابر من نور تتور من ابوابها
وعراصها نور مثل شعاع الشمس على مثل الكوكب الدري في النهار المضيء واذا بقصور
شامخة في اعلا عليين من الياقوت يزهر نورها فلو لا انه مسخر اذا لاتمع الابصار
فما كان من تلك القصور من الياقوت الابيض فهو مفروش بالحرير الابيض وما كان فيها من الياقوت
الاخضر فهي مفروش بالحبا بالسندس الاخضر وما كان فيها من الياقوت الاصفر فهو
مفروش بالاجواء الاصفر وبالزمرد الاخضر والذهب الاحمر والفضة البيضاء قوائمها واركانها
من الجوهر وشرفها قباب من اللؤلؤ وبروجها غرف من المرجان فلما انصرفوا الى ما اعطاهم ربهم
قربت لهم براذين من ياقوت ابيض منفوخ فيها الروح تحتها الوثائد الممهدون بيد كل
واحد منهم حلة يرتدون من تلك البراذين ولجمها واعنتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت
سروجها من رضوان مفروشة بالسندس والاستبرق فانطلقت بهم تلك البراذين
تزفهم فينظرون رياض الجنة فلما انتهوا الى رياضها وجدوا الملائكة قعودا على
منابر من نور ينظرونهم لهم ويصافحونهم ويهنئونهم كسيارة ربهم فلما دخلوا قصورهم
وجدوا فيها جميع ما تظاهرت به عليهم وما سألوا ربهم فلما اكلوا من آخر ما قصر من تلك
القصور اربعة جنان ذواتا افنان وجنتان مدهامتان وفيهما عينان نضاختان
خيرات وفيها من كل فاكهة زوجان وحور مقصورات في الخيام فلما تبوؤا واستقروا
واستقر قرارهم قال لهم ربهم هل وجدتم ما وعدتم حقا قالوا نعم وربنا قال اهل رضيتم
ثواب ربكم قالوا ربنا رضينا فارض عنا قال فبرضاي عنكم احللتكم داري ونظرتم الى
وجهي فعند ذلك قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا
دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وهذا
سياق عجيب وامر غريب وليعضه شواهد في الصحيحين وقال خالد بن معدان ان
في الجنة شجرة يقال لها طوبى ضروع كلها ترضع صبيان اهل الجنة رواه مسقط
المرأة يكون في نهر من انهار الجنة يتغلب فيه حتى يقوم يوم القيمة فيشفع البقي رواه حاتم
ابن ابي

قوله

ابن ابي حاتم قوله آخذ بعنان فرسه في سبيل الله اي جهاد المشركين قوله اشعث مجرور
بالفتحة لانه اسم لا ينصرف للوصف دون الفعل وراسه مرفوع على الفاعلية
وهو طابر الشعر اشغله الجهاد في سبيل الله عن الشعث بالادهان وتسريح الشعر قوله
مغبرة قدماه هو بالجر صفة ثانية لعبد قوله ان كان في الحراسة هو بكسر الكاف اي
حماية الجيش عن ان يهجم العدو عليهم قوله كان في الحراسة اي غير مقصر فيها والا فاعل
وهذا اللفظ يستعمل في حق من قام بالامر على وجه الكمال قوله وان كان في الساقة
كان في اي في مؤخرة الجيش اي يقلب نفسه في مصالح الجهاد فكل مقام يقوم فيه ان كان
ليلا او نهارا راغبا في ثواب الله وطالبا لمرضاته ومحبة له اعنه قال ابن الجوزي والحق
قابل الذكر لا يقصد التعميم وقال الحكيمي في المعنى انه ربما اعرض عنه حيث
انه لا يقدم مقامه في الحراسة والساقة لانهما اشد مشقة انتهى
وفيه فضل الحراسة في سبيل الله قوله ان استأذن لم يؤذن له اي ان استأذن على الامراء
ونحوهم لم يؤذن له لانه لا جاه لهم عندهم ولا منزلة لانه ليس من طلابها وانما يطلبها عند
الله لا يقصد بعلمه سواه قوله وان شفع بفتح اوله وثانيه لم يشفع بفتح الفاء مشددة
اي اوالحاله الحال ان يشفع في امر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته غمة الامراء وهم
وروى الامام احمد ومسلم عن ابن عباس مرفوعا رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو
اقسم على الله لابره قال الحافظ فيه تزكي حب السر بالسنة والشهرة وفضل الخمول والتواضع
انتهى وروى الامام احمد ايضا عن مصعب بن عبد الله بن الزبير قال قال عثمان رضي الله عنه
وهو يخطب على منبره اني محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعني
ان احدثكم به الا ان تكلوا فتدعوا العمل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حرس ليلة في سبيل الله
افضل من الف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة
عبد الله بن المبارك قال محمد عبد الله بن محمد قاضي نصيبين حدثني محمد بن ابراهيم بن ابي
سكينة انه اطلع عليه عبد الله بن المبارك بطرسوس وهو عائد الخروج وانشدها

هذه الأبيات

معه الى الفضيل بن عياض في سنة سبع وسبعين ومائة .....

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا ... لعلمت انك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في ... انف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال فلما قرأت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام علما قرأه ذرفت عيناه فقال صدق ابو عبد الرحمن ونصحني ثم قال انت ممن يكتب الحديث قلت نعم قال الى اكتب هذا الحديث فاملاه علي

الفضيل بن عياض حدثنا منصور بن المعتمر عن ابو صالح عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله علمني عملا انال به ثواب المجاهدين في سبيل الله قال هل تستطيع ان تصلي فلا تفتر وتصوم فلا تفطر فقال يا رسول الله ان اضعف عن ان استطيع ذلك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم فو الذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله اما علمت ان فرس المجاهد ليستن في طوله فتكتب له بذلك الحسنات

باب من اطاع العلماء والامراء في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله فقد اتخذهم اربابا من دون الله لقول تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون

فسر هذا في اصل المصنف محمد الله تعالى عند ذكر حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قوله ص وقال ابن عباس رضي الله عنه لو يشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم تقولون قال ابو بكر وعمر ش قوله يوشك بضم اوله وكسر الشين المعجمة اي يقرب ويسرع فهذا الذي اجاب به ابن عباس رضي الله عنهما جواب لمن قال ان ابا بكر

وعمر

وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة الى الحج ويريان ان افراد الحج افضل وما هو معنى هذا وكان ابن عباس يرى ان التمتع بالعمرة الى الحج واجبا ويقول اذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة اشواط فقد حل فمن تمتع شاء ام ابى لحديث سراقة بن مالك حين امرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعلوها عمرة ويحلوا اذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة فقال سراقة يا رسول الله العامنا هذا ام للابد قال بل للابد وللحديث الذي في الصحيحين وحينئذ فلا عذر لمن استفتى ان ينظر في مذاهب العلماء وما استدل به كل امام ويأخذ بما قوي عنده ما دل عليه الدليل اذا كان له ملكة يقتدر بها على ذلك كما قال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية وللبخاري ومسلم وغيرهما انه النبي صلى الله عليه وسلم قال لو استقبلت من امري ما استدبرت ما اهديت ولولا ان معي الهدي لاحللت هذا لفظ البخاري في حديث عائشة رضي الله عنها وفي حديث جابر افعلوا ما امرتكم فلولا اني سقت الهدي لفعلت مثل الذي امرتكم في عدة احاديث تؤيد قول ابن عباس ويأبى فهذا قال ابن عباس ما عارضوا الحديث برأي ابو بكر وعمر يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء اقول الحديث وقال الامام الشافعي رحمه الله اجمع العلماء على ان من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد وقال الامام مالك رحمه الله ما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم وكلام الائمة في هذا كثير وما زال العلماء رحمهم الله تعالى يجتهدون في الوقائع فمن اصاب منهم فله اجران واخطأ فله اجر وكما في الحديث لكن اذا استبان لهم الدليل اخذوا به وتركوا اجتهادهم واما اذا لم يبلغهم الحديث او لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم عندهم فيما يظهر لهم حديث او ثبت ولم يعارض او مخصص ونحو ذلك فحينئذ يسوغ للعالم ان يجتهد وفي عصر الائمة الاربعة رحمهم الله تعالى نما طلب الاحاديث ممن هي عنده بالمعنى والسماع ويسافر الرجل في طلب الحديث الى الامصار عدة سنين ثم اعتنى الائمة بالتصانيف ودونوا

شبكة الألوكة www.alukah.net

الاحاديث ورووها باسانيدها وميزوا صحيحها من حسنها من ضعيفها والفقهاء صنفوا
في كل مذهب وذكروا حجج المجتهدين فسهل الامر على طالب العلم وكل امام يذكر الحكم بدليله
عنده وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على ان من بلغه الدليل فلم ياخذ به
تقليدا للامام فانه يحب الانكار عليه بالتغليظ الذي لغته الدليل وقال الامام احمد حدثنا
احمد بن عمرو البزار حدثنا زياد بن ايوب حدثنا ابو عبيدة الحداد عن مالك بن دينار
عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ليس من احد الا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فجميع الانكار على كل من ترك الدليل لقول احد من العلماء كائنا
كان ونصوص الائمة على هذا وانه لا يسوغ التقليد الا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل
فيها يرجح اليه من كتاب ولا سنة فهذا الذي عناه بعض العلماء بقوله لا انكار في مسائل
الاجتهاد وانما ينكر المخالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه كما قاله ابن عباس ومالك وغير واحد
من الشافعي واحمد وذلك مجمع عليه كما تقدم في كلام الشافعي رحمه الله تعالى قوله ص
وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى
رأي سفيان والله تعالى يقول فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او
يصيبهم عذاب اليم الذي في الفتنة الشرك لعله اذا زاغ بعض قول
ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك شيء من هذا الكلام من الامام احمد رحمه الله رواه
عنه الفضل بن زياد وابو طالب قال الفضل عن احمد نظرت في المصحف في
حديث طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاث وثلاثين موضعا ثم جعل يتلو فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة الآية فذكر ان قول الفتنة الشرك الى قوله
فيهلك ثم جعل يتلو هذه الآية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية قال ابو طالب
عن احمد وقيل له ان قوما يدعون الحديث ويذهبون الى رأي سفيان وغيره
فقال اعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الاسناد وصحته يدعونه ويذهبون
الى رأي سفيان وغيره قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم اتدري ما الفتنة الفتنة الكفر قال الله تعالى والفتنة اكبر من القتل

فيدعون

فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغلبهم هواهم الى الرأي ذكر ذلك عنه شيخ الاسلام
رحمه الله تعالى قولهم عرفوا الاسناد اي اسناد الحديث وصحته فاذا صح اسناد الحديث
فهو صحيح عند اهل الحديث وغيرهم من العلماء وسفيان هو الثوري الامام الزاهد
العابد الفقيه الفقيه وكان له اصحاب ياخذون عنه ومذهبه مشهور يذكره العلماء
رحمهم الله تعالى في الكتب التي يذكر فيها مذاهب الائمة كالتمهيد لابن عبد البر والاستذكار
له وكتاب الاشراف على مذاهب الاشراف لابن المنذر والمحلى لابن حزم والمغني لابي محمد
عبد الله بن احمد بن قدامة الحنبلي وغير هؤلاء فقول الامام احمد رحمه الله عجبت لقوم
عرفوا الاسناد وصحته الخ انكار منه لذلك وانه يقل الى زيغ القلوب الذي يكون
به المرء كافرا وقد عمت البلوى بهذا المنكر خصوصا ممن ينتسب الى العلم فتصبوا
الى الميل في الصدع الاخذ بالكتاب والسنة وصدوا الناس عن متابعة الرسول صلى الله
وتعظيم امرهم ونهيهم فمن ذلك قولهم لا يستدل بالكتاب والسنة الا المجتهد والاجتهاد
قد انقطع او يقولون هذا الذي قلدته اعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه ونحو
ذلك من الاقوال التي غايتها ترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى
والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ وغيره في الائمة مخالفة وقبح قول بدليل فما من
امام الا والذي بعده بقرون من العلم الاكمل فالواجب على كل مكلف اذا بلغه الدليل من كتاب الله
وسنة رسوله وفهم معنى ذلك ان ينتهي اليه ويعمل به وان خالفه من خالفه كما قال تعالى
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء وقال لكفار العرب الذين لم يكفهم انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقد تقدم حكاية الاجماع على ذلك وبيان ان المقلد ليس من
اهل العلم وقد حكى ايضا ابن عبد البر وغيره الاجماع على ذلك قلت ولا
يخالف في ذلك الا جاهل جهال المقلدة لجهلهم بالكتاب والسنة ورغبتهم عنهما وهؤلاء
وان ظنوا انهم يتبعون الائمة فانهم في الحقيقة قد خالفوهم واتبعوا غير سبيلهم كما قدمنا
من قول مالك والشافعي واحمد لكن في كلام احمد رحمه الله اشارة الى ان التقليد قبل بلوغ
الحجة لا يذم وانما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول احد من الائمة وذلك انما نشأ عن

شبكة الألوكة www.alukah.net

الاعراض عن هذا بكتاب الله وسنة رسوله والاقبال على كتب مؤلفة
الوجيه وهذا يشبه ما وقع من اهل الكتاب الذين قال الله فيهم اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله كما سيأتي بيان ذلك في حديث عدي رضي الله عنه
على من نصح نفسه اذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها وعرف اقوالهم فليعرضها على ما في الكتاب
والسنة فان كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب الى مذهبه كابدان يذكر
دليله والحق في المسئلة واحد والائمة مثابون على اجتهادهم فالمنصف يجعل
النظر في كلامهم وتأمله طريقا الى معرفة المسائل واستظهارها هذا هنا وليميز
للصواب من الخطأ الادلة التي يذكرها المستدلون ويعرفون بذلك هو من اسعد
بالدليل من العلماء فيتبعه والدليل على هذا الاصل في كتاب الله اكثر من ان يحصر وفي
السنة كذلك كما اخرج ابو داود بسنده عن اناس من اصحاب معاذ ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما اراد ان يبعث معاذا الى اليمن قال كيف تقضي اذا عرض لك قضاء قال
بكتاب الله قال فان لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان
لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله قال اجتهد رأيي ولا آلو فقال فضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله
وساقه بسنده عن الحارث بن عمرو عن اناس من اصحاب معاذ عن معاذ بن جبل رضي الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن بمعناه والائمة رحمهم الله تعالى نصوا
في البيان بل نهوا عن تقليدهم اذا استبانت السنة لعلمهم او من العلم الذي لم يعلموه
وقد بلغ غيرهم وذلك كثير كما لا يخفى على من نظر في اقوال العلماء قال ابو حنيفة رحمه
الله تعالى اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الراس والعين واذا جاء
عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الراس والعين واذا جاء عن التابعين رحمهم الله فنحن
رجال وهم رجال قال واذا اتت قولا وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله
قيل اذا كان قول الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه قال اتركوا قولي لخبر رسول صلى الله عليه وسلم قيل اذا كان
قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة وقال الربيع سمعت الشافعي رحمه الله

يقول

يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت وقال اذا صح
الحديث بما يخالف قولي فاضربوا بقولي الحائط وقال مالك كل يؤخذ من قوله ويترك الا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقدم له هذا ذكر فلا عذر للمقلد بعد هذا ولو استقصينا
كلام العلماء في هذا لخرج بنا عما قصدناه من الاختصار وفيما ذكرناه كفاية لطالب
الحق فقوله لعله اذا رد بعض قوله اي قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقع في قلبه شيء
من الزيغ فيهلك نبه رحمه الله تعالى ان رد قول الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لزيغ القلب
وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة كما قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الآية قال شيخ
الاسلام رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره فاذا كان المخالف للامر
قد حذر من الكفر والشرك ومن العذاب الاليم دل على انه قد يكون معصية الى الكفر والعذاب
الاليم ومعلوم ان افضاءه الى العذاب الاليم هو مجرد فعل المعصية فما فضلوه الى الكفر
انما هو لما يقترن به من الاستخفاف في صوالامر كما فعل ابليس لعنه الله تعالى انتهى وقال
ابو جعفر بن جرير عن الضحاك فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة يطبع على قلبه
فلا يامن ان يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه قال ابو جعفر وذكر عن
فليحذر الذين يلوذون عن امره ويدبرون معرضين قوله او يصيبهم في عاجل
الدنيا عذاب اليم في الاخرة موجع على خلافهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ص
عن عدي بن حاتم رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم الآية قلت انا لسنا نعبدهم قال اليس يحرمون
ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم رواه احمد
والترمذي وحسنه ش هذا الحديث قد روي من طرق فرواه ابن سعد وعبد بن حميد وابن
المنذر وابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي قوله عدي بن حاتم
الطائي المشهور حاتم هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بفتح المهملة المشهور بالسخاء
والكرم قدم عدي على النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة تسع من الهجرة فاسلم وعاش مائة
وعشرين سنة وفي الحديث دليل على ان طاعة الاحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله

وهو الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله لقول الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا
اله الا هو سبحانه عما يشركون ونظير ذلك قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم الآية وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من
قلده وهم لعدم اعتبارهم الدليل اذا خالف المقلد وهو من هذا الشرك وفيهم يقول الله تعالى
ذمه واعتقد ان الاخذ بالدليل والحال هذه يكرهه او يحرمه فعظم الفتنة ويقول
هم اعلم منا فلا ندع ولا ناخذ بالدليل الا المجتهد وربما تفوه هو بذم من يعمل بالدليل ولا ريب
ان هذا من غربة الاسلام كما قال شيخنا رحمه الله تعالى في المسائل فتغيرت الاصول والمثالي
حتى الغاية فصارت عنده الاكثر عبادة الرهبان هي افضل من الاعمال وبسببها ولاية
وعبادة الاحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الحال الى ان عبد من لم يكن من الصالحين وعبد
بالمعنى الثاني من هو من الجاهلية واما طاعة الامراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله
فقد عمت به البلوى قديما وحديثا في اكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا وقد قال
تعالى فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من
الله الآية وعن زياد بن حدير قال قال عمر رضي الله عنه اتعرف ما يهدم الاسلام قال لا قال
يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الائمة المضلين رواه الدارمي جعلنا
الله واياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون قوله ص باب قول الله تعالى
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت الآية ش قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى وهذه الآية عامة لمن عدل عن
الكتاب والسنة وتحاكم الى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت ههنا وتقدم
ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في حد الطاغوت وانه كل ما تجاوز به العبد حده
من معبود او متبوع او مطاع فكل من تحاكم الى غير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد تحاكم الى الطاغوت الذي امر الله تعالى عباده المؤمنين ان يكفروا به قال الله تعالى ألم تر
الا الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
وقد امروا ان يكفروا به ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فمن خالف ما امر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم بان حكم بين الناس
بغير ما انزل الله او طلب ذكر بتا عالما بهواه وبرايه فقد خلع ربقة الاسلام والايمان من
عنقه وان زعم انه مؤمن فان الله تعالى انكر على من اراد ذلك واكذبهم في زعمهم الايمان لما في
ضمن قوله يزعمون من نفي ايمانهم فان يزعمون انما تقال غالبا لما يدعي دعوى هو فيها كاذب
لما لقام لموجبها وعمل بما نافيها ويحقق هذا قوله وقد امروا ان يكفروا به لان الكفر بالطاغوت
ركن التوحيد كما في آية البقرة فاذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحدا والتوحيد هو اساس الايمان

وخرج

وخرج عما شرع الله ورسوله واتزله منزلة لا يستحقها وكفر من عبد شيئا دون الله
فانما عبد الطاغوت فان كان المعبود صالحا صارت عبادة العابد له راجعة الى الشيطان
الذي امره بها كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم
فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا
عن عبادتكم لغافلين الى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون وكقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم
يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون الآية وان كان ممن يدعو الى عبادة الصالحين
نفسه او كان شجرا او حجرا او قبرا او غير ذلك مما يتخذه المشركون اصناما على صور
الصالحين والملائكة وغير ذلك فهي من الطاغوت الذي امر الله تعالى عباده ان يكفروا به
ويتبرؤوا منه ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنا من كان وهذا كله من عمل الشيطان و
تسويله فهو الذي دعا الى كل باطل وزينه لمن فعله وهذا بيان في التوحيد الذي هو معنى
شهادة ان لا اله الا الله فالتوحيد هو الكفر بكل طاغوت عبد العابد من دون الله كما
قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه الآية الى قوله حتى تؤمنوا
بالله وحده وكل من عبد غير الله فقد جاوز به حده واعطاه من العبادة حالا استحقه قال
الامام مالك رحمه الله الطاغوت ما عبد من دون الله وكذلك من دعا الى تحكيم غير الله ورسوله
فقد ترك ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب عنه وجعل لله شريكا في الطاعة وخالف
ما جاء به الرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امر الله تعالى به في قوله وان احكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك وقوله فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فمن خالف ما امر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم بان حكم بين الناس
بغير ما انزل الله او طلب ذكر بتا عالما بهواه وبرايه فقد خلع ربقة الاسلام والايمان من
عنقه وان زعم انه مؤمن فان الله تعالى انكر على من اراد ذلك واكذبهم في زعمهم الايمان لما في
ضمن قوله يزعمون من نفي ايمانهم فان يزعمون انما تقال غالبا لما يدعي دعوى هو فيها كاذب
لما لقام لموجبها وعمل بما نافيها ويحقق هذا قوله وقد امروا ان يكفروا به لان الكفر بالطاغوت
ركن التوحيد كما في آية البقرة فاذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحدا والتوحيد هو اساس الايمان

شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي تصلح به جميع الاعمال وتفسد بعدمه كما ان ذلك بين في قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت و
يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى الآية وذلك ان التحاكم الى الطاغوت ايمان به قوله
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا بين تعالى في هذه الآية ان التحاكم الى الطاغوت
مما يامر به الشيطان وبينه لمن يطاعه وبين ان ذلك مما اضل به الشيطان من اضل
واكد بالمصدر ووصفه بالبعد فدل على ان ذلك من اعظم الضلال وابعاد عن الهدى
وتضمنت هذه الآية اربعة امور الاول انهم من ارادة الشيطان الثاني انه ضلال الثالث
تاكيده بالمصدر الرابع وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى فسبحان الله ما اعظم
هذا القرآن وما ابلغه وما ادله على انه كلام رب العالمين اوحاه الى رسوله الكريم
وبلغه عبده الصالح ذو الاسوة صلوات الله وسلامه عليهما قوله وإذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا تاكيد بين تعالى ان هذا
صفة المنافقين وان من فعل ذلك او ظنه وان زعم انه مؤمن فانه في غاية البعد
عن الايمان قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى هذا دليل على ان من دعي الى تحكيم الكتاب
والسنة فابى انه من المنافقين قوله يصدون لازم وهو بمعنى يعرضون لان مصدر
صدودا مما انكر من اتصف بهذا الوصف خصوصا من يدعي العلم فانهم صدوا عما توجبه
الادلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الى اقوال من قضى كثير ممن ينتسب الى
الائمة الاربعة في تقليدهم انه لا يجوز تقليدهم واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على
قوله ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقول غير الشريعة هو المعتمد عند هو الذي لا
يصح الفتوى الا به فصار المتبع للرسول صلى الله عليه وسلم بين او لكل غريبا كما تقدم التنبيه على
هذا في الباب الذي قبل هذا فتدبر هذه الآيات وما بعدها يتبين لك ما وقع فيه غالب
الناس من الاعراض عن الكتاب والسنة وترك العمل به في اكثر الوقائع والله المستعان قوله
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون قال ابو العالية في الآية يعني
لا تعصوا في الارض لان من عصى الله في الارض او امر بمعصية الله فقد افسد في الارض لان
صلاح الارض وكل شيء انما هو بطاعة الله ورسوله وقد اخبر تعالى عن اخوة يوسف عليه السلام
في قولهم تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ثم حذرهم عن العود الى ما فعلوه بقولهم

لنفسد في الارض

لنفسد في الارض وبما كنا سارقين فدلت الآية على ان كل معصية فساد في الارض ومناسبة
الآية للترجمة ان التحاكم الى غير الله من اعمال المنافقين وهو من الفساد في الارض وفي الآية
التنبيه على عدم الاغترار بالرأي حتى يقيم على صحته دليلا من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
فما اكثر من يصدق بالكذب ويكذب بالصدق اذعاءه وهذا من الفساد في الارض و
يترتب عليه من الفساد امور كثيرة تخرج صاحبها من الحق وتدخله في الباطل نسأل الله العفو
والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة فتدبر ذلك في حال الاكثر الا من
عصمه الله ومن عليه بقوة داعي الايمان واعطاه عقلا كاملا عند ورود الشبهات وبصرا
نافذا عند ورود الشبهات وذكر فضل الله بقوله ما شاء والله ذو الفضل العظيم قوله
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قال ابو بكر بن عياش في الآية ان الله بعث محمدا صلى
الله عليه وسلم الى اهل الارض وهم في فساد فاصلحهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن دعا الى خلاف ما
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو من المفسدين في الارض وقال ابو القاسم رحمه الله تعالى اكثر
المفسرين لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله لها ببعث
الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله فان عبادة غير الله والدعوة الى غير الله الشرك
به هو اعظم افساد في الارض بل فساد الارض في الحقيقة انما هو الشرك وفي اللغة اعرف فالشرك
والدعوة الى غير الله واقامة معبود غيره او مطاع متبع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اعظم
فساد في الارض ولا صلاح لها ولا لاهلها الا ان يكون الله وحده هو المطاع والمدعو له
لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله لا لغيره اذا تبين ان وجب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
فاذا امر بمعصية وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة ومن تدبر احوال العالم وجد كل صلاح في
الارض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط
عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة الى غير الله ورسوله انتهى ووجه مطابقة هذه
الآية للترجمة ان التحاكم الى غير الله ورسوله من اعظم ما يفسد الارض من المعاصي فلا صلاح لها
الا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو سبيل المؤمنين كما قال تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت
مصيرا قوله ارضى من قول الله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
قال ابن القيم رحمه الله تعالى في خروج من حكم الله تعالى المشتمل على كل خير والنهي عن كل شر وعدل الى

شبكة الألوكة www.alukah.net

ماسواه من الآراء والاهوى والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم التتار والسياسات الموخوذة عن جنكسخان الذي وضع لهم كتابا مجموعا من احكام اقتبسه من شرائع شتى وفيها كثير من الاحكام اخذها عن مجرد نظره وصار في بنيه شرعا يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ومن فعل ذلك منهم كفر بجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير قوله ومن احسن من الله حكما الخ استفهام انكاري لا احكم احسن ممن حكمه تعالى وهذا من باب استعمال افعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة ومن اعلى من الله حكما لمن عقل عن الله شرعه وآمن وايقن انه تعالى احكم الحاكمين وارحم بعباده من الوالدة بولدها العليم بمصالح عباده القادر على كل شئ الحكيم في اقواله وافعاله وشرعه وقدره وفي الآية التحذير عن حكم الجاهلية واختيار حكم الله ورسوله ومن فعل ذلك فقد اعرض عن الاحسن وهو الحق الى ضده من الباطل قوله صح وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به قال النووي هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح عن الشيخ ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي في كتابه الحجة على تارك المحجة باسناد صحيح كما قال المصنف رحمه الله عن النووي ورواه الطبراني وابو بكر بن عاصم والحافظ ابو نعيم في الاربعين التي شرط لها ان تكون في صحيح الاخبار وشاهد في القرآن خالصا خلاصا ربما لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية وقال قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وقوله فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهوائهم ونحو هذه الآيات قوله لا يؤمن احدكم اي يكون من اهل كمال الايمان الواجب الذي وعد الله اهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار وقد يكون في درجة اهل الاساءة والمعاصي من اهل الاسلام قوله حتى يكون هواه تبعا لما جئت به الهوى بالقصر اي ما يهواه ويحبه نفسه ويميل اليه فان كان الذي تحبه وتميل اليه نفسه ويعمل به تابعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج عنه الى غيره فهذه صفة اهل الايمان المطلق وان كان بخلاف ذلك او في بعض احواله او اكثرها انتفى عنه من الايمان كالواجب كما في حديث ابي هريرة لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق

السارق حين يسرق وهو مؤمن يعني انه بالمعصية ينتفي عنه كمال الايمان الواجب وينزاح عن في درجة الاسلام وينقص ايمانه فلا يطلق عليه الايمان الا بقيد المعصية او الفسوق فيقال مؤمن عاص او يقال هو مؤمن بالله فاسق بمعصيته فيكون معه مطلق الايمان الذي لا يصلح اسلام الا به كما قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة والادلة على ما عليه سلف الامة وائمتها ان الايمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصر فمن ذلك قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس قبل تحويل القبلة وقول النبي صلى الله عليه وسلم آمركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله وحده شهادة ان لا اله الا الله الحديث وهو في الصحيحين والسنن والدليل على ان الايمان يزيد قوله تعالى ويزداد الذين آمنوا ايمانا فان قال الذين آمنوا فزادتهم ايمانا هم خلافا لمن قال ان الايمان هو القول وهم المرجئة ومن قال ان الايمان هو التصديق كما لاشاعرة ومن المعلوم عقلا وشرعا ان نية الحق تصديق والعمل به تصديق وقول الحق تصديق وليس مع اهل البدع ما ينافي قول اهل السنة والجماعة ولله الحمد والمنة قال الله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا فبين ان العمل به في هذه الآية من الاعمال الظاهرة والباطنة وشاهد في كلام العرب قولهم عمل صادقة وقد سمى الله تعالى الهوى المخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم الها فقال تعالى ارءيت من اتخذ الهه هواه قال بعض المفسرين لا يهوى شيئا الا ركبه قال ابن رجب رحمه الله تعالى ما معنى الحديث فهو ان الانسان لا يكون مؤمنا كامل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي فيحب ما امر به ويكره ما نهى عنه وقد ورد القرآن بمثل هذا المعنى في غير موضع وقد ذم سبحانه من ذكره ما احبه الله او احب ما كرهه الله فاخبر ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم فالواجب على كل مؤمن ان يحب ما احبه الله محبة توجب له الاتيان بما اوجب عليه منه فان زادت المحبة حتى لقي بما ندب اليه منه كان ذلك فضلا وان يكره ما يكره الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه فان زادت الكراهة حتى اوجبت الكف عما كرهه تنزيها كان ذلك فضلا فمن احب الله

ورسوله محبة صادقة من قلبه اوجب ذلك ان يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله
ورسوله فيرضى بما يرضى به الله ورسوله ويسخط ما يسخط الله ورسوله ويعمل بجوارحه
بمقتضى هذا الحب والبغض فان عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك بان ارتكب بعض ما
يكرهه الله ورسوله وترك ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه او القدرة عليه دل ذلك على
نقص محبته الواجبة فعليه ان يتوب من ذلك ويرجع الى تكميل المحبة الواجبة التي هي
اكمل العبادة اذا كملت جميع المعاصي تنشأ عن تقديم هوى النفس على محبة الله و
رسوله وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى فان
لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدي القوم وكذلك البدع انما نشأت من تقديم الهوى على الشرع ولهذا
سمي اهلها اهل الاهواء وكذلك المعاصي انما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه الله
اكمالا وكذلك حب الانسان من الواجب فيه ان يكون تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
فيحب على المؤمن محبة ما يحبه الله من الملائكة والرسل والانبياء والصديقين و
الشهداء والصالحين عموما ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الايمان ان يحب
المرء لا يحبه الا لله فتحرم موالاة اعداء الله ومن يكرههم الله عموما وبهذا يكون الدين
كله لله ومن احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان ومن كان حبه
وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا في ايمانه الواجب فيجب
التوبة من ذلك انتقل مخلصا ومناسبة الحديث للترجمة بيان الفرق بين اهل الايمان
واهل النفاق والمعاصي في اقوالهم وافعالهم واراداتهم قوله وقال الشعبي هو عامر
ابن شرحبيل الكوفي عالم اهل زمانه وكان حافظا علامة ذا فنون كان يقول ما كتبت
سوداء في بيضاء ولا در كت خلفا في الصحابة وعاش بضعا وثمانين سنة قاله الذهبي
وفيما قاله الشعبي ما يبين ان المنافقين اشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود
والنصارى وكفرهم اشد عداوة منهم لاهل الايمان كما هو الواقع في هذه الازمنة
وغلبتهم اعانة العدو على المسلمين وحرصهم على اطفاء نور الاسلام والايمان في
القلوب وما في التاريخ وما وقع منهم في الوقائع عرفوا ان هذا حال المنافقين قديما

بيان المنافق يكون

وحديثا

وحدثنا وقد حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم من طاعتهم والقرب منهم وحضه على جهادهم
في مواضع من كتابه قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية
وفي قصة عمر وقتله المنافق الذي طلب التحاكم الى كعب بن الاشرف اليهودي دليل على قتل من اظهر
الكفر والنفاق وكان كعب بن الاشرف هذا شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والاذى
له واظهارا لعداوته فانتقض به عهده وحل به قتله وروى مسلم في صحيحه عن عمرو سمعت جابرا
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال
محمد بن مسلمة يا رسول الله اتحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لي فلأقل قال فاتاه وذكر له
ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد صدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال
انا قد اتبعناه الآن ونكره ان ندعه حتى ننظر الى اي شيء يصير امره قال وقد اردت ان
تسلفني سلفا قال فما ترهنني نرهن نساءكم قال اتتا جمل العرب ان نرهنك نساءنا قال ترهنوني
اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح قال نعم
وواعده ان يأتيه بالحارث واخي عباس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل
اليهم وقال سفيان قال غير عمرو وقالت امرأته اني لأسمع صوتا كأنه يقطر دما قال انما هذا
محمد ورضيعه وابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لأجاب قال محمد اني اذا جاء فسوف
يده الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح بسيفه فقالوا نجد
منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان اشم منه قال نعم فشم فناول
فشم ثم قال اتأذن لي ان اعود قال نعم فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه وفي قصة عمر بيان ان
المنافق المغموص للنفاق اذا اظهر نفاقه قتل كما في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
انما ترك قتل من اظهر نفاقه منهم تألفا للناس فانه قال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
فصلوات الله وسلامه عليه قوله ص باب من جحد شيئا من الاسماء والصفات قول الله تعالى
وهم يكفرون بالرحمن الآية شأن سبب نزول الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها
وهو ان مشركي قريش جحدوا اسم الرحمن عنادا وقالوا فلما دعوا الله او دعوا الرحمن ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى والرحمن اسمه وصفته دل هذا الاسم على ان الرحمة وصفه سبحانه وهي من صفات

بيان انتقض

وقال الله ع

وهي من صفات الكمال فاذا كان المشركون جحدوا اسماء من اسمائه تعالى وهو من الاسماء التي دلت على
كمال اسمائه وتجلت في معنى هذا الاسم ونحوه من الاسماء يكون كذلك فان جهم بن صفوان ومن تبعه
يزعمون انها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والاشاعرة وغيرهم
فلهذا كفرهم كثير من اهل السنة قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ٭ عشر من العلماء في البلدان ٭
والالكائي الامام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني ٭

فان هؤلاء الجهمية وموافقيهم على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات
كماله ونعوت جلاله وبنوا هذا التعطيل على اصل باطل اصلوه من عند انفسهم قالوا هذه
الصفات هي صفات الاجسام فيلزم من اثباتها ان يكون الله جسما هذا منشأ ضلال عقولهم لم
يفهموا من صفات الله الا ما فهموه من صفات خصائص المخلوقين فشبهوا الله في ابتداء رأيهم
الفاسد بخلقه ثم عطلوه من صفات كماله وشبهوه بالناقصات بل بالجمادات والمعدومات
فشبهوا ولا وعطلوا اثباتا وشبهوا اثباتا بكل ناقص او معدوم فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة
من اثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته وهذا هو الذي
عليه سلف الامة وائمتها فانهم يثبتون لله ما اثبته لنفسه واثبته له رسول صلى الله عليه وسلم
اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل فان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات تحتذي
حذوه فكما ان هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتا لا تشبه الذوات فاهل السنة يقولون ذلك
ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يناقضوا واذلك
المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك فبطل وتناقضوا فبطل قول المعطلين بالعقل
النقل ولله الحمد والمنة واجماع اهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وائمة المسلمين
وقد صنف العلماء رحمهم الله في الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والاشاعرة وغيرهم في تزييف
ابطال هذه البدع وما فيها من التناقض والتهافت كالامام احمد رحمه الله تعالى في رده المشهور
وكتاب السنة لابنه عبد الله وصاحب الحيدة عبد العزيز الكناني في رده على بشر المريسي
وكتاب السنة لابي عبد الله المروذي ورد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد وهو بشر المريسي
وكتاب السنة لابي بكر الخلال وابي عثمان الصابوني الشافعي وكتاب التوحيد لامام الائمة

ابن خزيمة

ابن خزيمة الشافعي وشيخ الاسلام الانصاري وابو عمر بن عبد البر النمري وخلق كثير ودون من اصحاب الائمة الاربعة
وانباعهم واهل الحديث ومن متاخريهم ابو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة وشيخ الاسلام بن تيمية واصحابه
وغيرهم رحمهم الله تعالى كلهم احمد والمنة على بقاء السنة واهلها مع تفرق الاهواء وتشعب الاراء والله اعلم
قوله وفي صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله و
رسوله علي هو امير المؤمنين ابو الحسن علي بن ابي طالب احد الخلفاء الراشدين وسبب هذا القول والله اعلم
ما حدث في خلافته من كثرة اقبال الناس على الحديث وكثرة القصاص واهل الوعظ فيأتون بعضهم
باحاديث لا تعرفونها هذا القبيل فربما استنكرها بعض الناس وردها وقد يكون لبعضها اصل
ومعنى صحيح فيمنع بعض المفاسد لذلك فان شدهم امير المؤمنين رضي الله عنه لا يحدثون عامة الناس الا
بما هو معروف ينتفع الناس في اصل دينهم واحكامه من بيان الحلال والحرام الذي كلفوا به عملا و
عملا دون ما يشغل عن ذكر عما قد يؤدي الى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم الى التكذيب لا سيما
مع اختلاف الناس في فقه وكثرة خوضهم وجدلهم وقد كان شيخنا المصنف رحمه الله تعالى
يجب ان يقرأ على الناس الا ما ينفعهم في اصل دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم الذي لا غناء لهم عن
معرفته وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي كالمنتظم والمرعش والبصرة لما في ذلك من
الاعراض عما هو اوجب وانفع وفيها حال الله به اعلم مما لا ينبغي اعتقاده والمعصوم من عصم الله و
كان امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ينهى القصاص عن القصص لما في قصصهم من
الغرائب والتساهل في النقل وغير ذلك ويقول لا يقص الا امير او مأمور وكل هذا
محافظة على لزوم السنن على الصراط المستقيم علما وعملا ونية وقصدا وتركا لكل ما كان وسيلة
الى الخروج عنه من البدع ووسائلها والله الموفق للصواب ولا حول ولا قوة الا بالله قوله
وروى عبد الرزاق عن معمر عن طاوس عن ابيه عن ابن عباس انه رأى رجلا انتفض
لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا لذلك فقال ما فرق هؤلاء
يحدثون ثم لا عند محكم ولا يكون عند متشابهه انتهى قول وروى عبد الرزاق بن همام
الصنعاني المحدث المشهور صاحب المصنف اكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب
الزهري وهو شيخ عبد الرزاق يروي عن كثير او معمر بفتح الميمين وسكون العين من عمرو بن
ابي عمرو بن راشد الازدي الحراني ثم اليماني احد الاعلام صاحب محمد بن هشام الزهري يروي عن كثير

شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله عن ابن طاوس هو عبد الله بن طاوس اليماني قال معمر كان من اعظم الناس بالعربية وقال ابن عيينة مات سنة اثنين وثلاثين ومائة قوله عن ابيه هو طاوس بن كيسان الجندي بفتح الجيم والنون الامام العلم جيل اسمه ذكوان قال ابن الجوزي قلت وهو من ائمة التفسير ومن اوعية العلم قال في تهذيب الكمال عن الوليد الموقري عن الزهري قال قدمت على عبد الملك بن مروان فقال من ابن قدمت يا زهري قال قلت من مكة قال من خلفت يسودها قلت اهلها قلت عطاء بن ابي رباح قال فمن العرب ام من الموالي قلت من الموالي قال فبم ساد هاقلت بالديانة والرواية قال ان اهل الديانة والرواية لينبغي ان يسودوا قال فمن يسود اهل اليمن قلت طاوس بن كيسان قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فبم ساد هقلت بعلم عطاء قال انه لينبغي ذلك قال فمن يسود مصر قلت يزيد بن حبيب قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن يسود اهل الشام قال قلت مكحول قال فمن العرب ام من الموالي قلت من الموالي عبد لنوبي اعتقته امراة من هذيل قال فمن يسود اهل الجزيرة قلت ميمون بن مهران قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن يسود اهل خراسان قال قلت الضحاك بن مزاحم قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن يسود اهل البصرة قال قلت الحسن البصري قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فملك من يسود اهل الكوفة قال قلت ابراهيم النخعي قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من العرب فقال ويلك يا زهري فرجت عني واسه لتسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطبها على المنابر والعرب تحتها قال قلت يا امير المؤمنين انما هو دين من حفظه ساد ومن ضيعه سقط قوله عن ابن عباس قد تقدم وهو حبر الامة وترجمان القرآن ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وروى عن اصحاب ائمة التفسير كمجاهد وسعيد ابن جبير وعطاء بن ابي رباح وطاوس وغيرهم قوله فاقرؤ هؤلاء يستفهم من اصحابه يشير الى الناس فمن بحضرة مجلسه من عامة الناس فاذا سمعوا اشتباه محكم القرآن ومعناه حصل معهم فرقا وخوف فاذا سمعوا اشتباه احاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين لها فلم تحصل لهم الايمان الواجب الذي اوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين قال الذهبي

ثناء وكيع عما اسرائيل بحديث اذا جلس الرب على الكرسي فاشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال اذا رأينا الاعمش وسفيان يحدثون بهذه الاحاديث ولا ينكرونها اخرجه عبد الله في كتاب الرد على الجهمية وربما حصل فهم من عدم التعبير بالقول ترك ما وجب من الايمان به فتشبه حالهم حال من قال الله تعالى فيهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فلا يسلم من الكفر الا من عمل بما وجب عليه في ذكر من الايمان بكتاب الله كله والتبعيض كما قال تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب آيات محكمات هن ام الكتاب الى قوله وما يذكر الا اولو الالباب فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس رضي الله عنهما تركوا ما وجب عليهم من الايمان بما لم يعرفوا معناه من القرآن وهو حق لا يزاد فيه ومن وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى الذي اراد الله فيحكم على غير مراده كما جرى لاهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية فهؤلاء من تاول القرآن بعض ايات القرآن على غير مراده وقد وقع فيهم من الابتداع والخروج عن الصراط المستقيم فان الواقف من اهل البدع تحريفهم لمعنى الايات بين معنى قول ابن عباس وسبب هذه البدع جهل اهلها وقصورهم في الفهم وعدم اخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها من اهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد والتوفيق بين النصوص والقطع بانه بعضها لا يناقض بعضا وورد المتشابه الى المحكم وهذه طريقة اهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان فلله الحمد لا يحصى ثناء عليه ذكر ما رد به السلف في المتشابه قال في الدر المنثور اخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكتاب الاول ينزل على باب واحد على حرف واحد فنزل من سبعة ابواب على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه واعمل فاعملوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما امرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بامثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند ربنا قال واخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ قال طلب القوم التاويل فاخطؤا التاويل واصابوا الفتنة وطلبوا ما اشتبه منه فهلكوا بين ذلك واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله آيات محكمات قال فيهن قوام الكتاب قال تعالوا الى ثلاث آيات

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعنى وقضى ربك ان لا تعبد والا اياه الى ثلاث آيات بعدها واخرج ابن جرير من طريق ابي
مالك عن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ونا س من الصحابة رضي الله عنهم
الحكمات الناسخات التي فصل بين والمتشابهات المنسوخات واخرج عبد بن حميد
وابن جرير وابن ابي حاتم عن اسحق بن سويد ان يحيى بن يعمر وابا فاختة تراجعا هذه الآية
هذه ام الكتاب فقال ابو فاختة هو فيها استخرج القرآن السمه ذلك الكتاب فيها استخرجت
القرة واسم الله لا اله الا هو فيها استخرجت آل عمران وقال يحيى وهن اللاتي فيهن الفرائض
والامر والنهي والحلال والحرام والحدود وعماد الدين واخرج ابن جرير عن محمد بن جعفر بن
الزبير قال المحكمات حجة العرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس فيها تصريف
ولا تحريف عما وضعت عليه وآخر متشابهات في الصدق لهن تصريف وتحريف وتاويل
ابتلا الله فيهن العباد كما ابتلاهم بالحلال والحرام لا يصرف الى الباطل ولا يحرف عن الحق
واخرج ابن ابي حاتم عن قتادة ان ام الكتاب لان ليس من اهل دين
الا يرضى بهن واخر متشابهات يعني فيهما بلغنا السمن والغث والمر قلت
وليس في هذه الآثار ونحوها ما يشعر بان اسم الله تعالى صفة من المتشابه وما قال النفاة
من انها من المتشابه دعوى بلا برهان قوله ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر الرحمن انكروا وذلك اخ وروى ابن جرير عن قتادة وهم يكفرون بالرحمن ذكر لنا ان نبي
الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية حين صالح قريشا كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا فوالله لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك ولكن اكتب
هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله دعنا نقاتلهم
فقال لا ولكن اكتبوا كما يريدون اني محمد بن عبد الله فلما كتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم قالت
قريش اما الرحمن فلا نعرفه وكان اهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فقال اصحابه يا رسول الله
دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون وروي ايضا عن مجاهد قال قول ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم الآية قال هذا ما كتب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا في الحديبية
بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا نكتب الرحمن ولا ندري ما الرحمن ولا نكتب الا بسمك اللهم قال الله
تعالى وهم يكفرون بالرحمن الآية وروي ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله
النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ساجدا يا رحمن يا رحيم فقال المشركون هذا يزعم انه يدعو واحدا

كاتب لعله

وهو

وهو يدعو فمنى فمنى فانزل الله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى الآية
قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها الآية ذكر المصنف رحمه الله
تعالى ما ذكر بعض العلماء في معناها وقال ابن جرير فان اهل التاويل اختلفوا في المعنى بالنعمة
فذكر عن سفيان عن السدي يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال اخرون
بل معنى ذلك انهم يعرفون ان ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله وان الله
هو المنعم عليهم بذلك ولكنهم ينكرون ذلك فهم بمنزلة من انهم وان شاركوا غيرهم في معرفة
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال وهي المساكن والانعام وما يرزقون فيها والسرابيل والحديد و
الثياب يعرفون هذا كله قد قريش ثم ينكرونه بان يقولوا هذا كان لآبائنا فورثونا اياه وقال
اخرون معنى ذلك ان الكفار اذا قيل لهم من رزقكم اقروا بان الله هو الذي يرزقهم ثم ينكرونه
بقولهم رزقنا ذلكم بشفاعة آلهتنا ذكر الماوردي مثل هذا عن ابن قتيبة وهو ابو محمد عبد الله
ابن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة المفيدة
المحتوية على علوم جمة اشتغل ببغداد وسمع الحديث على اسحق بن راهويه وطبقته توفي سنة
ستة وسبعين ومائتين وقال اخرون ما ذكر للمصنف عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي
ابو عبد الله الكوفي الزاهد عن ابيه وعائشة وابن عباس وعنه قتادة وابو الزبير والزهري
وثقه احمد بن معين قال البخاري قال بعد العشرين ومائة يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
قال الكلبي يرى هذا ان يقول الرجل لو فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان ما اصبت كذا وكذا و
اختاره جرير القول الاول واختار غيره ان الآية نعم ما ذكره العلماء في معناها وهو الصواب
والله اعلم **قوله قال مجاهد هو شيخ التفسير الامام الرباني مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم**
فان عن نيف وثمانين سنة يقول عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة انتهى عند كل آية و
اسأله فيم نزلت وكيف كانت قال الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله
رحمه الله قوله وقال ابو العباس هو شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
الامام الجليل رحمه الله تعالى بعد حديث زيد بن خالد وتقدم في باب ما جاء في الاستغفار
بالانواء قال وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف انعامه الى غيره ويشرك به قال
بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذق فاذا ذهبوا يذكرون من هو جار على السنة
كثيرا انتهى وكلام شيخ الاسلام يدل على ان حكم هذا الآن حكم فيمن نسب النعم الى غير الله الذي انعم بها

شبكة الألوكة www.alukah.net

واسند اسبابها الى عينه كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا قال شيخنا رحمه الله وقد اجتماع الضدين في الغلب وتسميته هذا الكلام انكار النعمة قوله باب

قول الله تعالى فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون الند المثل والنظير وجعل الند لله هو صرف انواع العبادة او شيء منها لغير الله كما كان عبدة الاوثان الذين يعتقدون فيهم دعوة ورجوه انه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم وهذه الآية في سياق قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الى قوله فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى وفي تفسير قال ابو العالية لا تجعلوا لله عدلاً شركاء وهذا هكذا قال الربيع وانس وقتادة والسدي وابو مالك واسمعيل بن ابي خالد وقال ابن عباس فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون لا تشركوا بالله شيئاً من الانداد التي لا تنفع ولا تضر وانتم تعلمون انه ربكم لا يرزقكم غيره وقد علمتم انه الذي يدعوكم الى سوء اليم من توحيد الله هو الحق الذي لا شك فيه وكذلك قال قتادة وعن قتادة ومجاهد لا تجعلوا لله انداداً قال الكفاءة من الرجال تطيعونهم في معصية الله وقال ابن زيد الانداد الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها قرابين جعلوا له وعن ابن عباس فلا تجعلوا لله انداداً قال اشياها وقال مجاهد فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون قال تعالى انه الذي لا اله الا هو والانجيل ذكر جملة شاهدة في معنى هذه الآية الكريمة وهو في مسند احمد عن الحارث الاشعري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله امر يحيى ابن زكريا عليه السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن ويامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن وانه كاد ان يبطيء بهن فقال له عيسى ان الله عز وجل امرك بخمس كلمات ان تعمل بهن وتامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تبلغهم واما ان ابلغهم فقال يا اخي اني اخشى ان سبقتني بهن اعذب او يخسف بي فجمع يحيى بن زكريا بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعدوا على الشرف فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله امرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وامركم ان تعملوا بهن اولهن ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق او ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته الى غير سيده فايكم يسره ان يكون عبده كذلك وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وامركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا

واعلم

وامركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وان خلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك وامركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا يديه الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال هل لكم ان افتدي نفسي منكم فجعل يفدي نفسه بالقليل والكثير حتى فك نفسه وامركم بذكر الله كثيراً فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في اثر فاتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وان العبد احصن ما يكون اذا كان في ذكر الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا آمركم بخمس الله امرني بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يراجع ومن دعى بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم قالوا يا رسول الله وان صلى وصام قال وان صلى وصام وزعم انه مسلم فادعوا المسلمين باسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله وهذا حديث حسن واما هذه الآية الآية ان الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وهذه الآية دالة على توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع وهي دالة على ذلك بطريق الاولى وورد في القرآن الدال على هذا كثير جداً وسنذكر ان شاء الله تعالى ما تيسر منها

تأمل في بنات الارض وانظر ... لآثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... باحداق هي الذهب السبيك
على قصب الزبرجد شاهدات ... بان الله ليس له شريك
فيا عجباً كيف يعصى الاله ... ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على انه واحد

وقال ابن المعتز

قوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الانداد هو الشرك اخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول والله وحياتك يا فلان وتقول لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص ولولا البط في الدار لاتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا يجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك رواه ابن ابي حاتم بين ابن عباس رضي الله عنه ان هذا كلام مشرك وهو الواقع اليوم على السن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك فتنبه لهذا الامر فانها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه لكونه اكبر من الكبائر وهذا من ابن عباس رضي الله عنه تنبيه بالادنى من الشرك على الاعلى قوله وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك رواه الترمذي وحسنه وصححه

الحاكم قوله فقد كفر او اشرك يحتمل ان يكون مقام الراوي ويحتمل ان تكون او لمعنى الواو فيكون قد
كفر واشرك ويكون من الكفر الذي هو التغليظ دون الكفر الاكبر كما هو في الشرك الاصغر وورد مثل هذا
عن ابن مسعود بهذا اللفظ قوله وقال ابن مسعود ولان احلف بالله كاذبا احب الي
من ان احلف بغيره صادقا وفي للعلوم ان الحلف بالله كاذبا من الكبائر بل من الشرك الاكبر وهو
الكبائر وان كان اصغر كما تقدم بيان ذلك فاذا كان هذا حال الشرك الاصغر فكيف بالشرك الاكبر
الموجب للخلود في النار كدعوة غير الله والاستغاثة بموات رغبة اليه والتزلف حوائجه به كما هو حال الاكثر
من الامة في هذه الازمان وما قبلها من تعظيم القبور باتخاذها اوثانا والبناء عليها واتخاذها
مساجد وبناء المشاهد باسم الميت لعبادته من دون الله وتعظيمه والاقبال عليه بالقلب بدلا
والاقوال والاعمال وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الذي لا يغفره الله وتركوا ما دل عليه القرآن
العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل اليه قال الله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الى قوله وشهد واعلى انفسهم انهم كانوا كافرين
كفرهم تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه في حياته من دونه فوات الدنيا وقد قال تعالى وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال تعالى قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فلا اعلم للشرك ضدا ولا رشدا
وهؤلاء المشركون عكسوا الامر في الفعل والترك بلغ به الجهل واخبر بذلك نفسه صلى الله عليه وسلم فعاملوه بما
نهاهم عنه من الشرك بالله والتعلق على غير الله حتى قال قائلهم

يا اكرم الخلق مالي من الوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ان لم تكن في معادي آخذا بيدي ... فضلا وقد زلة القدم
فان من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فانظر الى هذا الجهل العظيم حيث اعتقد انه لا ملجأ له الا بعباده ولياذه بغير الله وانظر الى هذا
الاطراء العظيم الذي نهاه عنه الخلة في الاطراء الذي هي عنه صلى الله عليه وسلم بقوله لا تطروني كما
اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه مالك وغيره وقد قال تعالى
قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك فانظر الى هذه المعارضة العظيمة
للكتاب والسنة والمحادة لله ورسوله وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي تقوم به كثير خصوصا
من يدعي العلم والمعرفة وسوء ادبه هذه للنظومة ونحوها من الذنوب وتعظيمها من الربا بل فاش
وانا الله راجعون قوله وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ما
شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان رواه ابو داود بسند صحيح على

دونك

وذلك لان المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليه لكن تارة انما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيبا ولا
تعقيبا وتسوية المخلوق بالخالق شرك ان كان في الاصغر مثل هذا فهو اصغر وان كان في الاكبر فهو اكبر
كما قال تعالى عنهم في النار الاخرة تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين بخلاف المعطوف
بثم فان المعطوف بها يكون متراخيا عن المعطوف عليه فلا محذور لكونه صار تابعا قوله
وعن ابرهيم النخعي انه كان يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول بالله ثم بك قال
يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وقد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا
يجوز من ذلك وهذا انما هو في الحكم الذي لم قدرة وسبب في الشيء وهو الذي يجعل فعله مثل ذلك
واما في حق الاموات الذين لا احساس لهم عن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر فلا يقال في نفيهم
شيء من ذلك فلا يجوز التعلق عليه بشيء مما يوجد في الوجود والقرآن بين ذلك وينادي بأعلى صوته
كل عاقل اذا شاء ان يأخذ ذلك ورغب اليهم احد يقول له او عمل الباطن والظاهر فمن تدبر
القرآن ورزق فهما صار على بصيرة من دينه وبالله التوفيق والقرآن لا يؤخذ قسرا وانما يؤخذ

باب ذكر شيء من تفسيرها في قوله

اخي لن تنال العلم الا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وارشاد استاذ وطول زمان

واعظم هذه الستة من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ وانعب نفسه في تحصيل ما وقف عليه من شاء وجده عيانا
كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولقد احسن العلامة ابن القيم رحمه الله حيث قال

واجل داء قاتل وشفائه ... امران في التركيب متفقان
نص من القرآن او من سنة ... وطبيب ذاك العالم الربان
والعلم اقسام ثلاث هاكها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الاله وفعله ... وكذا بأسمائه الحسنى
والامر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي ... جاء بها المبعوث بالقرآن
والعلم ما قال الرسول فحذ لقوله ... بسوى هما الاحرى الهذيان

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا لا تحلفوا
بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض وعلى رضي وليس من الله رواه ابن ماجه
بسند حسن قوله لا تحلفوا بآبائكم تقدم النهي عن الحلف بغير الله عموما قوله من حلف بالله فليصدق
هذا مما اوجبه الله على عباده وحضهم عليه في كتابه قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقاله الصادق والصادق فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم وهو حال اهل البر كما قال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين الى قوله اولئك الذين صدقوا الآية قوله ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله اما اذا لم يمين له بحكم الشريعة على خصمه الا اليمين فاحلفه فلا يجب انه يجب عليه الرضا واما اذا كان فيما يجري بين الناس معاقد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك فهذا من حق المسلم على المسلم ان تقبل منه اذا حلف معتذرا او شفيعا تأثم ومن حقه عليه ان يحسن به الظن اذا لم يتبين خلافه كما في الاثر عن عمر رضي الله عنه ولا تضعنن بكلمة خرجت من اخيك وانت تجد لها في الخير محملا وقيه من التواضع والالفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يتجها الله مالا يخفى على من له فهم وذكر من اسباب اجتماع القلوب على الله طاعة الله ثم انه يدخل في حسن الخلق الذي هو اثقل ما يوضع في ميزان العبد كما في الحديث صحيح وحقيقته مكارم الاخلاق فاصل ايها الناصح لنفسه ما يصلحك مع الله تعالى ومع الخلق من القيام بحقوقه وحقوق عباده ولا خال السر على السلامة وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم فان فيه من الضرر حالا ومآلا ما لا يطر بالبال ولا يدور بالخيال والبسط هذه الامور وذكر ما ورد فيها مذكور في كتب الادب وغيرها فمن رزق ذلك والعمل بما ينبغي العمل به منه وترك ما يجب تركه من ذلك دل على خير وتوفيق وحاز عقله والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين والله اعلم قوله باب قول ما شاء الله وشئت عن قتيلة ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحلف ان يقول ورب الكعبة وان يقول ما شاء الله ثم شئت رواه النسائي وصحح كذا قوله عن قتيلة بمثناة مصغرة بنت صيفي الانصارية صحابية جاهلية لها حديث في سنن النسائي وهو المذكور في الباب ورواه عنها عبد الله بن بساد الجعفي وهو قيل الخثعمي من جاد به كما يناه وكان وفيه النهي عن الحلف بالكعبة مع انها بيت الله التي عجمها وقصدها بالحج والعمرة وفرضه وهذا يبين ان النهي عن الكرى بالله علم لا يصلح منه شيء لا للملك مقرب ولا نبي مرسل ولا للكعبة التي بيت الله فرضه وانت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة بدلها مالا يعتد عليه الا الله ومن المعلوم ان الكعبة لا تنفع ولا تضر وانما شرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها وجعلها للامة قبلة فالطواف بها مشروع والحلف بها ودعاؤها ممنوع فحيث ايها المكلف بما شرع وعما يمنع وان خالفك خالفك من جهلة الناس الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا قوله انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة العبد وان كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله ولا يقدر ان يشاء شيئا الا اذا كان الله قد شاءه كما قال تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين وفي هذه الآية والحديث الرد على القدرية والمعتزلة اتباع القدرية الذين ينفون العبد مشيئة

تحالف

تحالف ما اراده الله تعالى وشاء وسيأتي ما يبطل قولهم في باب سبعة جاءوا في منكري القدر انشاء الله تعالى وانهم مجوس هذه الامة واما اهل السنة والجماعة فيمسكون بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره ويعتقدون ان مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله في كل شيء يوافق ما شرعه الله ويحبه من افعال العباد وغيرها فما وافق ما شرعه رضيه واحبه وما خالفه كرهه من العبد كما قال تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر الآية وقوله ولا يرضى لعباده الكفر وقوله بيان ان الحلف بالكعبة شرك فان النبي صلى الله عليه وسلم انما قال لهم انكم تشركون قوله ولابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت قال اجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده هذا يقرر ما تقدم من ان هذا شرك لوجود التسوية في العطف بالواو قوله اجعلتني لله ندا فيه بيان ان من سوى العبد بالله ولو في ادنى الاشياء فقد جعل لله شريكا ام ابى خلافا لما يقوله اكثر الجاهلين بما يختص بالله تعالى من عبادته وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه ومن رد الله بعض ما ثبت في الدين قوله ولابن ماجه عن الطفيل اخي عائشة لامها قال رأيت كأني اتيت على نفر من اليهود فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله قالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فلما اصبحت اخبرت بها من اخبرت ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال هل اخبرت بها احدا فقلت نعم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان طفيلا رأى رؤيا اخبر بها من اخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده من قول الطفيل اخي عائشة لامها هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة اخو عائشة لامها صحابي له صحبة عند ابي داود وغيره ما ترجم المصنف الباب وهذه الرؤيا حق اقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بمقتضاها فنهاهم ان يقولوا ما شاء الله وشاء محمد لما رأوه ان يقولوا ما شاء الله وحده وهذا الحديث والذي قبله امر فيهما احد بقول ما شاء الله وحده ولا ريب ان هذا اكمل في الاخلاص والبعد عن الشرك من ان يقولوا ثم شاء فلان لان فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد بكل وجه فالبصير يختار لنفسه اعلى المراتب الكمال في مقام التوحيد والاخلاص قوله كان يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها ورد في بعض الطرق انه كان يمنعه احياؤهم وبعد هذا الحديث الذي حدثه الطفيل عن رؤياه خطبهم صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك نهيا بليغا فما زال صلى الله عليه وسلم يبلغهم حتى اكمل الله لهم الدين واتم لهم النعمة وبلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه اجمعين وفيه معنى قوله صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة قلت وإن كانت الرؤيا منامًا فهي وحي يثبت بها ما يثبت بالوحي أمرًا ونهيًا والله أعلم

قوله باب من سب الدهر فقد آذى الله وقول الله تعالى وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر الآية

قال العماد ابن كثير في تفسيرها يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر أي ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة ويقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا وما يهلكنا إلا الدهر قال الله تعالى وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون أي يتوهمون ويتخيلون فأما الحديث الذي أخرجه صاحب الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار وفي رواية لا تسبوا الدهر فإني أنا الدهر وفي رواية لا يقول ابن آدم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما قال في شرح السنة حديث متفق على صحته أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبها إلى الله عز وجل إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها فنهوا عن سب الدهر انتهى باختصار وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا بهذا الطريق كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ويسبون الدهر فقال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار وأخرجه صاحب الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل استقرضت عبدي فلم يعطني ويسبني عبدي يقول وادهراه وأنا الدهر قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسيره قوله لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر كانت العرب في جاهليتها إذا أصابتهم شدة أو بلاء أو ملامة قالوا يا خيبة الدهر

فيسندون

فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله هو الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذا من هذا الحديث انتهى وقد تبين معناه في الحديث بقوله أقلب الليل والنهار وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رحمه الله تعالى وهي قوله بيدي الأمر قوله وفي رواية لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر ومعنى هذه الرواية ما صرح به في الحديث من قوله وأنا الدهر أقلب الليل والنهار يعني أن ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتدبيره بعلم منه وحكمة لا يشاركه في ذلك غيره ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين وحسن الظن به سبحانه وبحمده والرجوع إليه بالتوبة والإنابة قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثير كما في أشعار المولدين كابن المعتز والمتنبي وغيرهما وليس منه ما ليس من سب الدهر وصف السنين بالشدة ونحو ذلك كقوله تعالى ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد الآية قال بعض الشعراء

إن الليالي من الزمان مهولة ... تطوى وتنشر بينها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

وقول أبي تمام

أعوام وصل كاد ينسي طيبها ... ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أعقبت ... نحوي أسى فكأنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

قوله باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه ذكر المصنف رحمه الله في هذه الترجمة إشارة إلى النهي عن التسمي بقاضي القضاة قياسا على ما في حديث الباب لكونه يشبهه في المعنى فينهى عنه

قوله في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله ش لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى فهو ملك الأملاك لا ملك أعظم ولا أكبر منه مالك الملك ذو الجلال والإكرام وكل ملك يؤتيه الله من يشاء من عباده فهو عارية يسرع ردها إلى المعير وهو الله تعالى ينزع الملك ممن ملكه تارة وينزع الملك منه تارة فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه وأما رب العالمين فملكه دائم كامل لا نهاية له بيده القسط يخفضه ويرفعه ويحفظ على عباده أعمالهم بعلمه سبحانه وتعالى وملائكته الحفظة عليهم فيجازي كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله نسألك من الخير كله ونعوذ بك

شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله قال سفيان يعني بن عيينة مثل شاهان شاه عند العجم وهذا مثل به سفيان لانه عبارة عن بلغة العجم قوله وفي رواية اغيظ رجل على الله بتشديد الغين المعجمة من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض فيكون بغيضا الى الله مقضوبا عليه والله اعلم قوله واخبثه وهو بدل ايضا على ان هذا خبيث عند الله فاجتمعت في حقه هذه الامور لتعاظمه في نفسه وتعظيم الناس له بهذه الكلمة التي هي من اعظم التعظم فتعظم في نفسه وتعظيم الناس له بالباطل وضعه عند الله يوم القيمة فصار من اخبث الخلق وابغضهم الى الله واحقرهم لان الخبث البغيض عند الله يكون يوم القيمة احقر الخلق واخبثهم لتعاظمه في نفسه على خلق الله بتم الله قوله اخنع يعني اوضع هذا هو معنى اخنع فيفيد ماذكرناه من غيظ الله يكون حقيرا بغيضا عند الله وفيه التحذير من كل ما فيه تعاظم كما اخرج ابو داود عن ابي مجلز قال اخرج معاوية رضي الله عنه ابن الزبير وابن عامر وجلس بين ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احب ان يقتعد له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار اخرجه الترمذي هنا وقال حسن وعن ابن عامر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا على عصا فقمنا اليه فقال لا تفعلوا من اكرام الاعاجم بعضها لبعض قوله اغيظ رجل هذا من الصفات التي تمر كما جاءت وليس في ما ورد في الكتاب والسنة من الاوصاف الا وجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك واثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل كما تقدم في اول كلام واحد وهذا هو قول اهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين في بعدهم من ائمة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة وهذا التفرق والاختلاف انما حدث في آخر القرن الثالث وما بعده كما لا يخفى على من له معرفة بما وقع للامة من التفرق والاختلاف وبالله التوفيق والهادي الى الصراط المستقيم والله المستعان قوله باب احترام اسماء الله وتغيير الاسم لاجل ذلك عن ابي شريح انه كان يكنى ابا الحكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو الحكم واليه الحكم فقال ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال ما احسن هذا فما لك من الولد قوله عن ابي شريح فاذا في خلاصة التهذيب هو ابو شريح الخزاعي اسمه خويلد بن عمرو اسلم يوم الفتح له عشرون حديثا اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث وروى عنه ابو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة قال ابن سعد مات بالمدينة سنة ثمان وستين وقال في الشارح اسمه هانئ بن يزيد الكندي قال الحافظ وحمل ابن حارث الظبابي قال المزني قوله وكنى ابا الحكم اي قصد بالكنية قاصد باب وام ونحو ذلك واللقب كالفاروق كذلك كنى بن العابدين ونحوه وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو الحكم واليه الحكم فهو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي انزل على انبيائه ورسله

وما

وما قضت الادلة فيها حكم مما اتفق على بعضه من الكتاب والحكمة وقد يسر الله معرفة ذلك لاكثر العلماء من هذه الامة فانها لا تجتمع على ضلالة فاذا العلماء وان اختلفوا في بعض الاحكام فلا بد ان يكون المصيب فيهم واحدا ممن رزقه الله تعالى فهم الفهم واعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من الخطأ اقوال العلماء بل ذلك بفضله ومنه عليه واحسانه اليه فما احلها من عطية فقال الله من فضله قوله واليه الحكم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وقال تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الا فالحكم لله هو الحكم الكتابه والحكم الرسوله هو الحكم الذي حياته وفي سنته بعد وفاته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد رأيي فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله الى ما يرضي رسول الله فعاد من اجل على الصحابة بالاحكام ومعرفة الحلال والحرام ومعرفة احكام الكتاب والسنة ولهذا ساغ له الاجتهاد واذا لم يجد للقضية حكما في كتاب الله ولا في سنة رسوله بخلاف ما يقع اليوم وقبله من اهمال التفريط في الاحكام ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله فبطل ان الاجتهاد يسوغ لمن يجهل باحكام الكتاب والسنة وهيهات وما يوم القيمة فلا يحكم بين الخلق الا الله جل وعز اذا نزل لفصل القضايا بين العباد فيحكم به خلقه بعلمه وهو الذي لا يخفى عليه خافية من اعمال بني آدم خلقه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها والحكم يوم القيامة انما هو بالحسنات والسيئات فيؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر ظلامته ان كان له حسنات وان لم يكن حسنات اخذ من سيئات المظلوم فطرح على سيئات الظالم لا يزيد على هذا بمثقال ذرة ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة قوله وان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال ما احسن هذا فالمعنى والله اعلم انه ابا شريح لما عرف من قومه انه صاحب انصاف وتحر للعدل بينهم ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين صار عندهم مرضيا وهذا هو الصحيح لان حداره على الرضا لا على الالزام ولا على احكام الكهان واهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا على الاستناد الى وضاع الجاهلية من احكام كبرائهم واسلافهم التي تخالف حكم الكتاب والسنة كما قد يقع اليوم كثيرا لكل الطوائف الذين لا يلتفتون الى حكم الله ورسوله وانما المعتمد عندهم ما حكموا به آباؤهم وائمتهم وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة ممن لا يسوغ تقليده فيعتمد على قول من قلد وترك ما هو الصواب الموافق لاصول الكتاب والسنة والله اعلم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك ترى الولد قال شريح وعلى عبد الله قال فمن اكبرهم قلت شريح قال فانت ابو شريح فيه تقديم الاكبر بالكنية وغيرها غالبا وجاء في غير حديث والله اعلم قوله باب من هزل بشيء فيه ذكر الله او القرآن او الرسول اي فقد كفر قول الله وقوله الله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية قال الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قال ابن عمر المزني

شبكة الألوكة www.alukah.net

عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أرى مثل قرائنا هؤلاء أرغبنا
بطونا ولا كذبنا السنا ولا أجبننا عند اللقاء فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ذلك الرجل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وقد ارتحل وركبناقته فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض
ونلعب فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون الى قوله مجرمين ورآه رجله لتسفع الحجارة
وما يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال عبد الله بن هشام فحدثني بن شهاب عن سعد بن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رجل
في غزوة تبوك يوما في مجلس ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب
ألسنا ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل في المجلس كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله بن عمر فأنا رأيته
متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما
كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا
تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحوه هذا وقال
اسمحق وقد كان جاء في المنافقة منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن
عوف رجل اسمحج حليف لبني سلمة فقال له مخشي بن حمير بشير وهو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مظلف أو يئوس فقال بعضهم لبعض احسبوا جلاد بني الأصفر كفتال العرب بعضهم بعضا
والله لكأني بكم غدا مقرنين في الحبال إرجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشي بن حمير والله إني
لوددت أني أقاضى كل رجل منا مائة جلدة وأنا سلم أن ينزل فينا قرآن
لمقالتكم هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن ياسر ادرك القوم فإنهم قد احترقوا
فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف
على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحقب ناقته يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب وقال مخشي
بن حمير يا رسول الله قد عرفت اسمي واسم أبي فكان الذي عفا الله عنه أي بقوله تعالى إن نعف عن
طائفة منكم في هذه الآية مخشي بن حمير فسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم
بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر وقال عكرمة في تفسير هذه الآية كان رجل قد
أنسأ الله في عمره يقول اللهم إني أسمع آية أنا أعمى بها تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم
فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فقال فأصبح يوم
اليمامة فأخذ في المسلمين لا يوقد أحدا غير قوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم أي بهذا
المقال إن نعف عن طائفة منكم أي مخشي بن حمير نعذب طائفة أي لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم

بيان مخشي

بأنهم

بأنهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة انتهى قال شيخ الإسلام وفقه الله تعالى أتراه يقول لهم
قد كفرتم بعد إيمانكم وقولنا إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولا بقلوبهم لا يصح لأن الإيمان بالقلب
مع الكفر بالقلب متعذر بل الكفر فلان الكفر قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر وإن
أردت أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا ما يخالصهم وهم مع خواصهم ما زالوا
كذلك ولا يبعد إرادة اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر فقد أخبر أنهم كفروا
بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر غير اعتقاد له بل إنما كنا نخوض ونلعب وبين أن الاستهزاء بآيات
الله كفر ولا يكون هذا الكفر إلا من شرح صدره بهذا الكلام ولو كان الإيمان وقع قبله منعه أن يتكلم بهذا
الكلام والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه كقوله وتقولون آمنا بالله وبالرسول
وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك الآية إلى قوله وإذا كانوا قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله
ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا فبين أن هذا من لوازم الإيمان وفيه بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة
يتكلم بها وعمل يعمله وإن قصد بها خطأ لإرادة القلب فهي كالبيع الذي لا يحل له ويفسد
الخوف في النفاق الأكبر فإن الله تعالى أثبت لهؤلاء إيمانا قبل أن يقولوا آمنا فقوله كما قال ابن أبي مليكة
أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه نسأل الله السلامة والعفو
العافية في الدنيا والآخرة قوله باب قول الله تعالى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء
حسنة ليقولن هذا لي ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن بن عباس وغيره من المفسرين في معنى هذه الآية وما بعدها
ما يكفي ويشفي قوله قال مجاهد هذا بعملي وأنا محقوق به قال بن عباس يريد عند قوله إنما
أوتيته على علم عندي قال قتادة على علم مني بوجوه المكاسب وقال الآخر على علم أني له
أهل وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف وليس فيما ذكروا اختلافا وإنما هي أوجه المعنى
قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى معنى قوله تعالى وإذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بي فيّ فتنة يخبر
أن الإنسان في حال الضر يضرع إلى الله ويتبتل إليه ويدعوه ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبغى وقال إنما
أوتيته على علم أي لما يعلم فيّ فأستحق له ولولا أني عند خطيئة لما خولني هذا قال الله تعالى بل هي فتنة
أي ليس الأمر كما زعم بل النعمة لنختبره فيها أنعمنا عليه ليطيع أم يعصي مع علمنا
المتقدم بذلك بل هي فتنة أي اختبار ولكن أكثرهم لا يعلمون فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما
يدعون وقد قالها الذين من قبلهم أي هذه المقالة وزعم هذا الزعم والدعوى هذه الدعوى كثير ممن سلف

من الاثم لما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اى فضائح قولهم ولا تنفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون كما قال تعالى فخر اعليه قارون
انه قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين الآية ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وقال تعالى وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا وما نحن بمعذبين قوله وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان ثلاثة من بنى اسرائيل ابرص واقرع واعمى فاراد الله ان يبتليهم فبعث اليهم
ملكا فاتى الابرص فقال اى شئ احب اليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب
عنى الذى قد قذرنى الناس به قال فمسحه فذهب عنه قذره فاعطى لونا حسنا وجلدا
حسنا قال فاى المال احب اليك قال الابل او البقر شك اسحق فاعطى ناقة عشراء
قال بارك الله لك فيها قال فاتى الاقرع فقال اى شئ احب اليك قال شعر حسن و
يذهب عنى الذى قد قذرنى الناس به فمسحه فذهب عنه واعطى شعرا حسنا
قال فاى المال احب اليك قال البقر او الابل فاعطى بقرة حاملا فقال بارك الله لك
فيها فاتى الاعمى فقال اى شئ احب اليك قال ان يرد الله على بصرى فابصر به الناس
فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاى المال احب اليك قال الغنم فاعطى شاة والدا فانتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من
الغنم قال ثم انه اتى الابرص فى صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد
انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك اسئلك بالذى
اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا اتبلغ به فى سفرى فقال الحقوق كثيرة فقال
له كانى اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال ورثت لكابر عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال فاتى
الاقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال
ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال فاتى الاعمى فى صورته وهيئته فقال رجل
مسكين وابن سبيل قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك
اسئلك بالذى رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها فى سفرى فقال قد كنت اعمى فرد الله على
بصرى فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا اجهدك اليوم بشئ
اخذته لله فقال امسك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك
اخرجاه ش اى البخارى ومسلم وهذا حديث عظيم وفيه معتبر فان الاولياء يحمدون الله
فيما افراه ببعض ولا ينسون النعمة الى المنعم بها ولا اذى احق الله فيها فحل عليها السخط واما الاعمى فاقترف

بنعمة الله

بنعمة الله ويسبها الى من انعم عليه بها او الى صفة الله فيها فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما
اتى باركان الشكر الثلاثة التى لا يتم الشكر الا بها وهى اقرار بالنعمة ونسبتها الى المنعم وبذلها فيما
يحب قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فحاصل الشكر هو الاعتراف بانعام المنعم علما وحبه والخضوع
له والذل والمحبة فمن لم يعرف النعمة بلسانه حالها ولا شكرها ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها ايضا
ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما تجحد المنكر لنعمة المنعم عليها فقد كفرها ومن عرف النعمة و
المنعم بها واقر بها حق لم يجحدها ولكن لم يخضع له ويرض به وعنه لم يشكرها ايضا ومن عرفها وعرف المنعم
بها وخضع للمنعم واحبه ورضى به وعنه واستعمالها فى مرضاته وطاعته فهذا هو الشاكر لها فلا بد
فى الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل الى المنعم ومحبته والخضوع له قوله قد قذرنى الناس
تكرهه رؤيته وقربه منهم قوله باب قول الله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا
له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون قال الامام احمد رحمه الله تعالى فى معنى هذه الآية حدثنا عبد
الصمد حدثنا ابن ابرهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها
ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك
من وحى الشيطان وامره وكهذا رواه بن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث رواه
الترمذى فى تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه
الا من حديث عمر بن ابرهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث
عبد الصمد مرفوعا وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه الامام ابو محمد بن ابى حاتم
فى تفسيره عن ابى زرعة الرازى عن هلال بن فياض عن عمر بن ابرهيم مرفوعا وقال ابن جرير حدثنا ابن
وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو بن ابى جعفر لما اثقلا اشفقا فيها اتاهما فقال ما هذا فى بطنك
اهل الملل ولم يكن بآدم حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول
هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوا ونصروا وهذا اسناد حسن عن الحسن رحمه الله قال
العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيره واما الاثر فقال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة
عن ابن عباس قال كان ذرية آدم عليه السلام اولادا فعبد هو الله فسموه عبد الله وعبد الله وعبد الله وكذلك
يصيبهم الموت فاتاها ابليس وآدم فقال انكما لو سميا ولدكما باسم غير الذى سميا به عاش فولد له فسماه
عبد الحارث فذلك قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون وقال السدى فى حديثه
فاتيهما الشيطان فقال لهما هل تدريان ما يولد لكما ابهيمة ام لا وزينها لهما الباطل انه يخرج
ميتا وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين قبلا فقالا له الشيطان انكما ان لم تسمياه بى لخرجن ميتا وعاتت كما مات
لتخرجن ميتا وعاتت كما مات فذكرا ذلك لآدم فسمياه ولدها عبد الحارث فذلك قوله تعالى فلما آتاهما

صالحا جعلا شركا فيما آتاهما وذكر ذلك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه ابن ابي حاتم وقد تتبع
هذا الاثر عن ابن عباس جماعة من اصحابه كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومن الطبقة الثانية قتادة
والسدي وجماعة من الخلف والمفسرين والمتاخرين جماعة لا يحصون كثرة قال العماد بن كثير
رحمه الله تعالى وكان اصله والله اعلم ما حكوه من اهل الكتاب قلت وهذا بعيد جدا
قوله قال ابن حزم اتفقوا على ان كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما اشبه
ذلك حاشا عبد المطلب ش ابن حزم هو عالم الاندلس ابو محمد علي بن احمد ابو سعيد القرطبي
والظاهري صاحب التصانيف توفي سنة ست وخمسين واربع مائة وله اثنان وسبعون سنة
وعبد المطلب هو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيبة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لؤي بن غالب فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن
نزار ابن معد بن عدنان وما فوق عدنان مختلف فيه الا ما سلمه من ذرية اسمعيل بن ابرهيم الخليل عليهما
السلام وحكى عبد الله الاتفاق العلماء على ان كل اسم معبد لغير الله لانه شرك قال وهو بين لان
الاسم الخلق كلهم عبيد الله وعبيده لا يستعبد العباد بعضهم بعضا في ربوبيته والهيته
فمنهم من عبد الله وحده في ربوبيته والهيته ومنهم من اشرك في الهيته واقر بربوبيته وله اسمائه
وصفاته واجمعوا القدرية جارية عليهم ولا بد لكل منهم ان كل ما في الكون من الاسماء لله تعالى
الا الرحمن عبد احد في العبودية العامة واما العبودية الخاصة فانها تختص باهل الاخلاص
والطاعة كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومنها قوله حاشا عبد المطلب هذا استثناء من
العموم وذكر ان المطلب اخو هاشم قدم المدينة وكان ابن اخيه شيبة هذا نشأ في اخواله بني
النجار من الخزرج لان هاشما تزوج فيهم امرأة فجاءت به هذا الابن فلما شب في اخواله
وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب الى مكة بلداب وغيبة فقدم به مكة وهو رديف
فرآه اهل مكة وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبد المطلب فقالوا هذا عبد المطلب فغلب عليه
هذا الاسم ولزمه فصار لا يذكر ولا يدعى الا به فلم يبق للاسم معنى مقصودا وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم انا ابن عبد المطلب وقد صار معظما في قريش والعرب ثم سيد قريش واشرفهم في
جاهليته وهو الذي حفر زمزم وصارت له وفي ذريته من بعده وعبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم
احد بني عبد المطلب وتوفي في حياة ابيه قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب الدرة
السنية في مولد خير البرية كان سن ابيه عبد الله حين حملت به آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم
نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب الى المدينة ليمتار منها تمرا لاهله فمات بها عند اخواله بني النجار
والنبي صلى الله عليه وسلم على الصحيح انثى قلب وصار النبي صلى الله عليه وسلم لما وضعته
امرأة قال جده عبد المطلب كما قال الحافظ الذهبي وتوفي ابوه عبد الله والنبي صلى الله عليه وسلم

ثمانية

ثمانية وعشرون شهرا وقيل اقل وذكر وقيل وهو حمل انه توفي بالمدينة وكان قد قدم بها التمارا وقيل بل
مر بها راجعا من الشام وعاش خمسا وعشرين سنة قال الواقدي وذكر ابن اسحاق الاقوال في سنه و
وفاته وتوفيت امه آمنة بالابواء وهي راجعة به صلى الله عليه وسلم الى مكة من زيارة اخوالها ابيه
بني عدي بن النجار وهو ابن ست سنين وقيل ابن اربع سنين فلما ماتت ام
حملته ام ايمن مولاته الى جده فكان في كفالته الى ان توفي جده فاوصى به النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين
فاوصى به الى عمه ابي طالب انتهى كلام الحافظ رحمه الله قوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخ
قيد هنا نظير ما مضى عن ابن عباس في المعنى قوله رواه ابن ابي حاتم وله بسند صحيح عن قتادة
قال شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله لئن آتيتنا
صالحا قال اشفقا ان لا يكون انسانا قال شيخنا رحمه الله ان هذا الشرك في مجرد تسميته
لم نقصد حقيقته وهو محمل حسن يتبين ان ما وقع من الابوين من تسميتهما انهما
عبد الحارث انما هو مجرد تسمية لم يقصد تعبيده لغير الله وهذا معنى قول قتادة قال
شركا في طاعته ولم يكن في عبادته قوله باب قول الله ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه الآية عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من
احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر اخرجاه في الصحيحين فمحمد بن
سفيان بن عيينة ورواه البخاري عن ابي اليمان عن ابي الزناد عن الاعرج عند واخرجه
الحرجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله قوله
يحب الوتر هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور
الغفار الوهاب الفتاح العليم القابض الباسط الخافض
الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير
الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت
الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود
المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد
المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواحد

شبكة الألوكة www.alukah.net

الواجد الماجد الاحد الفرد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر
الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك
ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي
البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روي
من غير وجه عن ابي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء الا في هذا الحديث والذي عول عليه
جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء في هذا الحديث مدرج فيه وانما ذكرها كما رواه الوليد بن مسلم
وعبد الملك الصنعاني عن نمير بن حجر انه بلغه عن غير واحد من اهل العلم انهم قالوا ذكرنا انها احصوها
من القرآن كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان بن زيد اللغوي والله اعلم هذا ما ذكره البغوي في كثير
في تفسيره ثم قال ليعلم ان الاسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه احمد
عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن ابي سلمة الجهني عن ابي القاسم عبد الرحمن عن ابيه عن
عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم
اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم
هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك
ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله عز وجل
وهمه وابدله مكانه فرحا قيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
وقد اخرجه ابو حاتم بن حبان في صحيحه وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى وذروا الذين
يلحدون في اسمائه قال الحاد الملحدون ان عدوا اللات من الله واشتقوها من العزى من العزيز
وقال مجاهد وذروا الذين يلحدون في اسمائه قالوا اشتقوا اللات من الله واشتقوا العزى من العزيز
قال قتادة يلحدون يشركون وقال ابن ابي طلحة عن ابن عباس الالحاد التكذيب واصل الالحاد
في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه الى جهة
القبلة عن سمت الخ قال ابن القيم رحمه الله تعالى وحقيقة الالحاد فيها الميل بها عن الصواب
والتعطيل والانكار واسماء الرب تعالى كلها اسماء مدح وصفات تعرف بها تعالى لعباده ودلائل
كماله جل وعلا وقال رحمه الله فالالحاد اما ان يجحدها او انكارها او ان يجحد معانيها
وتعطيلها او ان يجحد ثوابها عن الخلق وايلائها واما ان يجعلها اسماء
لهذه المخلوقات كما الحاد اهل الاتحاد فانهم جعلوها اسماء لهذا الكون المشهود وهذا من جنس
حتى قال بعضهم هو المسمى بكل اسم بمعنى كل اسم ممدوح عقلا وشرعا وعرفا فان كل اسم محمود

عقلا وشرعا

عقلا وشرعا وعرفا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا انتهى **قلت** والذي عليه اهل السنة والجماعة
قاطبة متقدمهم ومتأخرهم اثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما يليق بجلال الله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
وان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ويمثل به وكما انه يجب العلم بان الله تعالى حق ثابت
لا تشبه ذوات شيء من ذوات المخلوقين فكذلك صفات حقيقة لا تشبه شيئا من صفات المخلوقين قد قرر هذا
ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله او اولى على ظاهره ومعناه فهو حق يليق به فما تبع فيه سبيل المؤمنين
كما قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وساءت مصيرا وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى اضافة كل جليلة ما يجري صفة او خبرا على الرب
تبارك وتعالى اقسام احدها ما يرجع الى نفس الذات كقولنا ذات وموجود الثاني ما يرجع الى صفات فعله كالعلم
والقدير والسميع والبصير الثالث ما يرجع الى افعاله كالخالق والرازق الرابع الاسماء الدالة على السلوب المحض
او على امر اضافي متضمن سلبا اذ لا كمال في العلم المحض كالقدوس والسلام الخامس وهو لم يذكره اكثر الناس وهي الاسماء الدالة على امر وجودي
عديد لا تختص بصفة معينة والدال عليها معان غير المعظم المجيد العظيم فان المجيد فعيل من اسم الصفات متعددة فيضاف
الكمال وتعظيم يدل على هذا فانه موضوع على السعة والزيادة والكثرة ومنه استجد المرخ وذا العفار والمجد الناقة
علفها وهذا رب العرش المجيد صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنا بابطال الصلاة
من اسمه على ما علمناه صلى الله عليه وسلم بانه في مقام طلب الزيادة والتنويه لسعة العطاء وكثرة الوجود ولهذا في هذا
المطلوب باسم يقتضيه كما قلت الغفور الرحيم هذا راجع الى التوسل باسمائه وصفاته وفي
هو في اقرب الوسائل داعيها اليه ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي اللهم اني اسألك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام فهذا سؤال
له وتوسل اليه بجملة وانه لا اله الا هو المنان فهو توسل اليه باسمائه وصفاته وبالاحق منه بالاجابة واعظم موقعا احدهما
من المسئول وهذا باب عظيم من ابواب التوحيد الساد سهضة تحصل من احد الاسمين والوصفين بالاخر وذكر
قدر زائد على مجرد ما تحتوي الغني الحميد الغفور القدير المجيد وكهذا غاية الصفات المقترنة والاسماء المزدوجة في
المؤمن فان الغني صفة كمال وكرم كذلك والحميد اجتماع الطرفين احمد كمال آخر فلهذا تارة وغناه وتارة بحمده تارة
اجتماعهما وكذلك الغفور القدير الحميد المجيد والعزيز الحكيم فتامل فائدة ارشد المعارف قوله

الحديث رواه احمد

قال لا تقولوا السلام على الله في الصحيح عن مسعود رضي الله عنه قال كنا اذا كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام هذا البخاري ومسلم وابو داود
والنسائي وزاد ماجه في حديث سفيان بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا اذا جلسنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان الحديث وفي آخره ذكر التشهد

الاخير رواه الترمذي من حديث الاسود بن يزيد عن ابن مسعود ذكر في الحديث سبب النهي عن ذلك بقوله فان الله هو السلام ومنه السلام وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من الصلاة المكتوبة يستغفر ثلاثا ويقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وفي الحديث ان هذا هو تحية اهل الجنة مربهم تباركت وتعاليت وفي التنزيل ماتدل عليه انه ارشد سبحانك وتقدس السلام عليهم في الجنة كما قال تعالى سلام قول من رب رحيم ومعنى قوله ان الله هو السلام انه الله تعالى سالم من كل نقص وموصوف بكل كمال المنزه عن كل عيب ونقص قال في البدائع السلام مصدر وهو من الفاظ الدعاء تنقضي الانشاء والاخبار فيه الخبرية فيه لانتفاء الجهة الانشائية وهو معنى السلام المطلوب عن التحية وقوله قولان مشهوران الاول ان السلام هنا هو الله عز وجل ومعنى الكلام تنزلت بركته عليكم ونحو هذا قال من اختار في هذا المعنى من اسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الاسماء التالي انه السلام فيصير بمعنى السلام وهو المطلوب المدعو به عند التحية ومن حجتهم ايضا بهذا القول انه يقال المسلم على الله سلام عليكم ولو كان اسما من اسماء الله لم يستحل كذلك ومن حجتهم ايضا ان ليس المقصود من كل من السلام هذا المعنى فانما المقصود منه الايذان بالسلامة خبرا او دعاء قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وفصل الخطاب ان تعال الكلمة في مجموع القولين فكل منهما بعض المعنى والصواب في مجموعهما وانما التباين ذكر بعضا عدة وهي انه من اسمائه الحسنى انه سئل في كل مطلوب يتوسل بالاسم المقتضي ذلك المطلوب المناسب لهوله حتى ان الداعي ليستشفع الى الله تعالى متوسلا اليه فاقال ارحمني اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور فقد سأله امرين وتوسل اليه باسمين من اسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه وقال العائشة رضي الله عنها وقد سألته ما تدعو به اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم فالمقام لما كان تعلم طلب السلامة التي هي اهم عند الرجل اتى في طلبها بصيغة اسم من اسماء الله تعالى وهو السلام الذي تطلب منه السلامة فتضمن لفظ السلام معنيين احدهما ذكر الله والثاني طلب السلامة وهو مقتضى السلام فقد تضمن سلام عليكم اسم من اسماء الله تعالى وطلب السلامة منه فتامل هذه الفائدة وحقيقة البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيب وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه فمن ذلك قولك سلمك الله ومنه دعاء الموضئ على الصراط رب سلم سلم ومنه سلم الشيء لفلان اي خلص وصح قال الله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل اي خالصا وصحيحا لا يملكه غيره ومنه السلم ضد الحرب لان سلم واحد من المتحاربين يحصل بتخلص وتسلم من اذى الآخر ولهذا بني على المفاعلة فقيل المسالمة

المشارك

المشارك كما في الحديث ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب وحقيقته الذي سلم لله وحده فخلص من دغل الشرك ودغل الذنوب والمخالفات بل هو المستقيم على محبة ربه وحسن معاملته وهذا هو الذي ضمن له النجاة في عباد الله والفوز بكرامته ومن اخذ الاسلام فانما اخذ من هذه المادة لانه الاستسلام والانقياد ونحو التخلص من شوائب الشرك فسلم لربه وخلص له كالعبد الذي سلم للمولاه ليس فيه شركاء متشاكسون ولهذا ضرب سبحانه هذا مثلا للمشرك والمخلص لربه وللشرك به قوله الرباب

قوله اللهم اغفر لي ان شئت يعني انه ذكر لا يجوز ورود النهي عنه بحديث الباب قوله لا تعلق الحكم اللهم اغفر لي ان شئت لعدم المشيئة فان الله لا مكره له بخلاف العبد فانه قد يعطي السائل مسئلته لحاجته اليه او الخوف منه او رجائه او قصد مسئلته وهو كاره فالائق بالسائل المخلوق ان يعلق حصول حاجته على المشيئة المحض اذ هو كاره بخلاف ربنا العظيم فانه تعالى لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه وكمال جوده وكرمه وكلم فقير اليه محتاج لا يستغني ربه طرفة عين عن عطائه كلام وفي الحديث يمين ملاء لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما في يمينه وفي لفظ الآخر الفلك يخفضه ويرفعه يقبض يعني بحكمته ويمنع بحكمته وهو الحكيم الخبير فالائق بمن هذا شأنه ان يسأل الله تعالى ان يعزم المسئلة فانه تعالى لا مكره له ولا يعطي عبده شيئا عن كره منه ولا عن عظم مسئلة وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه

ويعظم في عين الصغير صغيرها ويصغر في عين العظيم العظائم

واما هذا بالنسبة الى نفوس ارباب الدنيا فانه العبد يعطي بها فانه يمنع اكثر ويعطي كرها والنيل عليه اغلب وبالنسبة الى عباد الله فليس عطاؤه عظيما ولا ما يعطيه الله عباده فهو دائم مستمر يجود بالنوال قبل السؤال اذ من صفت النطفة في الرحم فنعم على الجنين في بطن امه دار بربيه احسن تربية فاذا وضعته عطف اليه بقلوب الدواب ورباه بنعمه حتى يبلغ اشده فيتقلب في نعم الله حدة حياته فان كانت حياته على الايمان والتقوى ازدادت نعم الله تعالى عليه اضعافا مضاعفة فما ظنك بمن يتقلب في نعم الله حدة حياته على الايمان والتقوى ازدادت نعم الله تعالى عليه اضعافا مضاعفة فما ظنك بمن يتقلب في نعم الله حدة حياته على الكفر والعياذ بالله تعالى فالله تعالى يعامل عباده المؤمنين المتقين بكل ما ينال العبد في الدنيا من النعم وان كان بعضهم على يد مخلوق خير باذن الله وارادته ولكنه في الحقيقة انما هو من الله تعالى هو المحمود على النعم كلها فهو الذي شاءها وقدرها واجراها على كرمه وجوده وفضله فله النعمة والفضل وله الثناء الحسن قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وقد يمنح سبحانه عبده اذا سأله الحكمة وعلم ما يصلح عبده من العطاء والمنع وقد يؤخر ما شاء عبده لوقته المقدر وليعطيه اكثر فاكثر كل هذا برب العالمين وسلم وليعظم الرغبة

في سؤال الربيع حاجته فانه يعطي العظائم لكرمه وجوده واحسانه فان الله تعالى لا تتعاظمه شيء اعطاه اي
ليس شيء عنده بعظيم وان عظم في نفس المخلوق لا سيما الا ما يهون عليه بذله بخلاف رب العالمين فان عطاءه
كلام انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فبمان ولا يقدر المخلوق قدره لا الذي خلقه ولا يسعه سواه قوله
باب لا يقل عبدي وامتي ذكر الحديث الذي في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم اطعم ربك وضئ ربك واسق ربك وليقل سيدي ومولاي ولا يقل احدكم عبدي
وامتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي هذه الالفاظ المنهي عنها اذا كان سائلا تطلق لغيره فان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عنها تحقيقا للتوحيد فيما اذا تشارك في اللفظ لان الله تعالى هو رب العباد جميعهم فاذا اطلق
على غيره شاركه في هذا الاسم فنهى عن ذلك وان لم يقصد به ذلك الشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى
وانما المعنى ان هذا ما كان له فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار فالنهي عنه لمادة الشرك بين
الخالق والمخلوق وتحقيقا للتوحيد وبعدا عن الشرك في اللفظ وهذا من احسن مقاصد الشريعة لما
فيه من تعظيم الرب تعالى وبعده عن مشابهة المخلوق فارشدهم صلى الله عليه وسلم الى ما يليق وعلم هذه
الالفاظ وهو قول سيدي ومولاي وكذا قول لا يقل احدكم عبدي وامتي لان العبيد عبيد الله و
الاماء اماء الله قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا فغي اطلاق هاتين
الكلمتين على غير الله شرك في اللفظ فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وادبا وبعدا عن الشرك وتحقيقا للتوحيد
وارشده الى ان يقول فتاي وفتاتي وغلامي وهذا من باب حمايته المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد
فقد بلغ صلى الله عليه وسلم امته كلما لهم فيه منفعة وزجرهم عن كل ما فيه نقص في الدين فلا خير الا دلهم عليه
خصوصا في تحقيق التوحيد ولا شر الا حذرهم عنه صلوات الله وسلامه عليه خصوصا ما يتردد في
الشرك لفظا وبالله التوفيق قوله باب لا يرد من سأل بالله ظاهر الحديث الحديث
النهي عن رد السائل اذا سأل بالله لكن هذا العموم يحتاج الى تفصيل بحسب الاوقات وكثرة الحاجات
فيجب اذا سأل السائل بالله حق بحسب الملك فيعطى من عنده ما يسعه ويجزئه فاذا
سأل الفضل عنده فيستحب ان يعطيه على قدر حاله كذلك بحسب حال المسئول كذلك اذا سأل المحتاج من
ما يفضل فيجب ان يعطيه على قدر حاله وحاجته خصوصا اذا سأل بالله واما اذا سأل في لا
فضل عنده فيستحب ان يعطيه على قدر حال المسئول ما لا يضره ولا يضر عائلته واهله وان كان محتاجا
وجب ان يعطيه ما يدفع ضرورته ومقام الانفاق من اشرف مقامات الدين وتفاوت الناس
فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود وتخلفا بقوة داعي الايمان وضعفه فمن البخل والشح فالاول

في الكتاب والسنة والثاني ممنوع فيها وقد حث الله تعالى عباده على الانفاق لعظم نفعه وتعدد به وكثرة
ثوابه على تعالى بارئها الذي امنن الانفاق انه ظيبات ما كسبتم الاية قوله والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع
عليم وقال تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وذاكر الانفاق في فصل اخر المذكور في قوله ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين الآية فذكره بعد ذكر اصول
الايمان وقبل ذكر الصلاة وذكر والله اعلم لتعدي نفعه وكثرة تعالى الاعمال التي امر بها تعالى عباده وحثهم
بها ووعدهم عليها الاجر العظيم قال تعالى انه المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات الى قوله
والمتصدقين والمتصدقات الآية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث اصحابه على الصدقة حتى انه نظمها
للامة وحثهم على ما ينفعهم عاجلا وآجلا وقد اثنى الله سبحانه على الانصار رضي الله عنهم بالايثار فقال
تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية والايثار افضل خصال المؤمن كما تقدم
هذه الآية الكريمة وقد قال تعالى ويطعمون الطعام على حبه الى قوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
والآيات والاحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدا وكان سعيد للآخرة رغبة في هذا ورغب بعض المتوفين
قول عن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سأل بالله
فاعطوه ومن دعاكم فاجيبوه ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له
حتى تروا انكم قد كافأتموه رواه ابو داود بسند صحيح قوله ومن دعاكم فاجيبوه هذا من حقوق المسلم بعضهم
على بعض واجابة دعوة المسلم وتكره اسباب الالفة والمحبة بين المسلمين قوله ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه
ندبهم صلى الله عليه وسلم على المكافأة على المعروف فان المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله
كما دل عليه هذا الحديث ولا يهمل المكافأة على المعروف الا اللئام من الناس وبعض اللئام يكافئ على الاحسان
بالاساءة كما يقع ذلك كثيرا من بعضهم نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة بخلاف حال اهل التقوى
والايمان فانهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يرضاه كما قال تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم
بما يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اولئك
الذين سبقت لهم من الله السعادة قوله فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه
في حديث لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف فيدعو له على حسب معروفه قوله حتى تروا انكم قد كافأتموه
اي تظنوا انكم قد كافأتموه ويحتمل انها مفتوحة بمعنى تعلموا ويؤيده ما في سنن ابي داود في حديث ابن عمر حتى تعلموا

شبكة الألوكة www.alukah.net

فمعنى الثاني المصرح به وفيه من سألكم بالله فأجيبوه أي إذا سأل فيكون بمعنى أعطوه وعند أبي داود وفي رواية أبي
نهيك عن ابن عباس من سألكم بوجه الله فأعطوه وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث ومن سألكم بالله كما
في حديث ابن عمر قوله **باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة** ذكر فيه حديث جابر رضي الله عنه رواه
أبو داود عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل بوجه الله إلا الجنة وهذا سؤال وقد ورد في دعاء
النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من الطائف إلى مكة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء المأثور اللهم إليك أشكو ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني الحديث وفي حديث آخر
أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات الحديث المذكور في الأذكار اللهم أنت أحق من ذكر وأحق من عبد
وفي آخره أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات السموات والأرض وفي وجه آخر أعوذ بوجه الله الكريم وباسم
الله العظيم وبكلماته التامة من شر السامة والهامة ومن شر ما خلقت أي رب ومن شر هذا اليوم
ومن شر ما بعده ومن شر الدنيا والآخرة وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو
الحسان **فالجواب** أن ما ورد من ذلك فهو من سؤال ما يقرب إلى الجنة أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة
فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة كما في الحديث الصحيح اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها
من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل بخلاف ما يختص بالدنيا كسؤال المال أو الرزق والسعة
في المعيشة رغبة في الدنيا مع قطع النظر عن كونه أراد به ما يعينه على الآخرة فلا ريب أن الحديث يدل على
المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث كما لا يخفى والله أعلم وحديث الباب
من جملة الأحاديث الدالة التي في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى فإنه صفة كمال وسلبه غاية النقص
والتشبيه بالناقصات كسلبهم جميع الصفات أو بعضها فوقعوا في أعظم مما فروا منه تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وطريقة أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله
صلى الله عليه وسلم في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته فيثبتون له ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله
صلى الله عليه وسلم وينفون عنه مشابهة المخلوق كما أن ذات الرب تعالى لا تشبه الذوات فصفاته كذلك لا
تشبه الصفات فمن نفاها فقد سلبه الكمال قوله **باب ما جاء في اللو**
أي من النهي عنه عند الأمور المكروهة كالمصائب إذا جرى بها القدر لما فيها من الإشعار بعدم الصبر والأسى
على ما فات مما لا يمكن استدراكه فالواجب التسليم للقدر والقيام بالعبودية الواجبة وهو الصبر على ما
أصاب العبد مما يكره والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة وأدخل المصنف رحمه الله تعالى
أداة التعريف على لو وهي في هذا المقام لا تفيد تعريفا كنظائرها لأن المراد هذا اللفظ كما قال الشاعر
رأيت اللو بليت يزيد هما باركا ... البيت

قوله

قوله **وقول الله تعالى يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا الآية** قال بعض المنافقين يوم أحد لخوفهم
وجزعهم وخورهم قال ابن إسحاق فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال
قال الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا
رجل إلا ذقنه في صدره قال فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم لو كان لنا من الأمر شيء
ما قتلنا ههنا فحفظتها منه وفي ذلك أنزل الله عز وجل يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا لقول معتب
رواه ابن أبي حاتم قال الله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم أي هذا
قدر مقدر من الله عز وجل وحكم حتم لازم لا محيد عنه ولا مناص منه قوله **الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا**
قال العماد ابن كثير الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا أي لو سمعوا من مشورتنا
عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل قال الله تعالى قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم
صادقين أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي لكم أن لا تموتوا والموت لا بد
آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين قال مجاهد عن جابر
ابن عبد الله نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي يعني أنه هو الذي قال ذلك وأخرج البخاري أن أبا طلحة قال
غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فجعل سيفي يسقط وآخذه ويسقط وآخذه وفي الطائفة
الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم وأجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أبي في غزوة أحد قال فلما انخزل يوم
أحد وقال يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان أو كما قال انخزل معه خلق كثير كان كثير منهم لم
ينافق قبل ذلك فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل فلو ماتوا
قبل المحنة والنفاق ماتوا على الإسلام ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا ولا من المنافقين
حقا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحنة
التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص فيها إيمانهم كثيرا وينافق كثير منهم ومنهم من يظهر الردة إذا كان
العدو غالبا وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة وإذا كانت العافية
أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين وهم مؤمنون بالرسل باطنا وظاهرا لكن إيمان
لا يثبت على المحنة ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا
آمنا قيل لهم لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم أي الإيمان المطلق الذي أهله هم
المؤمنون حقا فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة فلم يحصل لهم ريب
عند المحن التي تقلقل الإيمان من القلوب انتهى **قلت** وقد رأينا وغيرنا ما فيه عبرة **قلت** ونحن كذلك

مطلب

عن الزبير صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبيان ذكر ما فيه عبرة عند غلبة العدو ومن اعانتهم العدو علينا والطعن في الدين واظهار العداوة
والشماتة والجد في اظهار نور الاسلام واظهار الحق وغير ذلك مما يطول ذكره والله المستعان
قوله في الصحيح اي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احرص على ما
ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان من مختصر المصنف
رحمه الله هذا الحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن
الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن اي في معاشك ومعادك والمراد الحرص
على فعل الاسباب التي تنفع العبد في دنياه واخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الاسباب الواجبة
والمستحبة والمباحة ويكون العبد في فعل الاسباب مستعينا بالله وحده دون كل ما سواه ليتم
له سببه وينفعه ويكون اعتماده على الله تعالى لانه هو الذي خلق السبب والمسبب فلا ينفعه
سبب الا اذا نفعه الله به فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى ففعل السبب سنة والتوكل
على الله توحيد فاذا جمع بينهما تم مراده باذن الله قوله ولا تعجز النون نون التوكيد الخفيفة
نهاه صلى الله عليه وسلم عن العجز ودمه والعجز ممنوع شرعا وعقلا وفي الحديث الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني فاذا شدد صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث اذا اصابه ما يكره فلا يقل لو اني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن يقول
قدر الله وما شاء فعل اي هذا قدر الله والواجب التسليم للمقدور والرضا به واحتساب الثواب
عليه قوله فان لو تفتح عمل الشيطان اي لما فيها من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر وذلك ينافي
الصبر والرضا والصبر واجب والايمان بالقدر فرض قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر
من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا ايمان لمن لا صبر له وقال الامام احمد ذكر الله الصبر في تسعين
موضعا من القرآن قال شيخ الاسلام رحمه الله وذكر هذه الاباب بأسرها ثم قال في معناه لا تعجز
عن امر مأمور ولا تجزع من مقدور فمن الناس من يجمع كل الشرين فامر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص
على النافع والاستعانة بالله والاول يقتضي الوجوب والثاني الاستحباب ونهى عن العجز

وقال

وقال الله تعالى على العجز والعاجز هند الذين لم يشهروا ونهى الامر بالصبر والنهي عن الجزع ملحوظ به
في مواضع كثيرة وذكر ان الانسان بين امرين امر بفعل فعليه ان يفعل ويحرص عليه ويستعين
الله ولا يعجز وامر اصيب به من غير فعل فعليه ان يصبر عليه ولا يجزع منه ولهذا قال بعض العقلاء
ابن المقفع او غيره الامور امران امر فيه حيلة فلا تجزع عنه وامر لا حيلة فيه فلا تجزع منه ولهذا
في جميع الامور لكن عند المؤمن الذي فيه حيلة هو ما امر الله به واحبه لما فاته الله لم يأمره الا بما فيه حيلة له
اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقد امر كل عبد ان يفعل ما فيه حيلة وما لا حيلة في هو فيما اصيب به من غير
فعله واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمي فالافعال مثل قول القائل من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ومثل قول الله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها
ومثل قول القائل وجزاء سيئة سيئة مثلها فمثل قول الله تعالى ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم والحاقها به خطيئة
اي آثاما كثيرة من هذا الجنس والله اعلم والقسم الثاني ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب
كما قال تعالى ما اصابكم من حسنة فمن الله وما اصابكم من سيئة فمن نفسك والآية قبلها فالحسنة في هاتين
الآيتين النعم والسيئة المصائب وهذا هو المختار الذي ذهب اليه الشيخ الاسلام رحمه الله ذكره
في هذا الموضع ولعل الناسخ اسقط والله اعلم ثم قال رحمه الله تعالى فان الانسان ليس مأمورا ان ينظر الى القدر
ما يؤمر به من الافعال ولكن عند ما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها فما اصابك مما لم تفعل الا ان
او تفعل غيره فاصبر عليه وارضه وسلم قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه
ولهذا قال آدم لموسى اتلومني على امر قدره الله علي قبل ان اخلق باربعين سنة فحج آدم موسى لان موسى
قاله لما اذاقه طعم ما فعله من المعصية التي حصلت بسببه فعل الاجل كونها ذنبا واما كونه
لاجل الذنب كما يظنه طوائف من الناس فليس مرادا بالحديث فان آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يحول يوم التناد باتفاق الناس انتهى قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى
في تضمن هذا الحديث اصولا عظيمة من اصول الايمان احدها ان الله سبحانه موصوف بالحب والبغض حقيقة
كما انه يحب موجب اسمائه وصفاته وما يوافقها فهو القوي فيحب المؤمن القوي وهو يحب القوة
وجميل يحب الجمال وعليم يحب العلماء ونظيف يحب النظافة ومحسن يحب المحسنين
وصابر يحب الصابرين وشاكر يحب الشاكرين ومنها انه محبة للمؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم اكثر
من بعض ومنها ان سعادة الانسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده والحرص هو بذل الجهد
واستفراغ الوسع فاذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودا وكمال الكلام في مجموع هذين الامرين
ان يكون حريصا وان يكون حرصه على ما ينتفع به فالحرص على ما لا ينفعه او فعل ما ينفعه بغير حرص

صوابه مقتضى

شبكة الألوكة www.alukah.net

تامة من الكمال بعد وما فاته من ذكر فالحرص كله في الحرص على ما ينفع وما كان حرص الانسان وفعله انما هو
بمعونة الله ومشيئته ولهذا امر ان يستعين بالله ليجمع له مقام اياك نعبد واياك نستعين
فالحرص على ما ينفعه عبادة لله تعالى ولا تتم الا بمعونته فامره ان يعبده وان يستعين به فالحرص
على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز وهذا ارشاد الى قبيل وقوع المقدور الى ما هو من اعظم اسبابه
حصوله وهو الحرص على وجه الاستعانة بمن ازمة الامور بيده ومصدرها عنه ومردها اليه
فان فاتهم ما يقدر له فله حالتان عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فلا فيه العجز الى لو ولا فائدة في ههنا
وهي مفتاح اللوم والعجز والتحسر والاسف والحزن وذكر كلمة على الشيطان فنهاه صلى الله عليه وسلم
عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح وامره بالمجانبة وهي النظر الى القدر وملاحظته فانه لو قدر
له لم يغنه ولم يفته عليه احد فلم يبق لم ههنا انفع من شهود القدر ومشيئة الرب الكائنة التي
توجب وجود المقدور وان انتفت امتنع وجوده ولهذا قال فان غلبك امر فقل قدر الله وما شاء فعل
كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فارشده الى ما ينفعه في الثاني حصول
المطلوب في الحال فوات فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد ابدا بل هو اشد اليه ضرورة
وهو يتضمن اثبات القدر وانكسار والاختيار والقيام بالعبودية ظاهرا وباطنا في حالتي
حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق انتهى قوله باب النهي عن سب الريح

عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ما
تكرهون فقولوا اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما امرت
به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما امرت به صححه الترمذي

ش لانها انما تهب
عن ايجاد الله تعالى وخلقه وامره لانه هو الذي اوجدها وامرها فسبها سب لفاعل وهو الله
سبحانه كما تقدم في النهي عن سب الدهر وهذا شبيه ولا يفعل الا اهل الجهل بالله ودينه وما شرع
لعباده فنهى صلى الله عليه وسلم اهل الايمان ان يقولوا اهل الجهل واضرابهم ما يجب ان يقال
عند هبوب الرياح فقال اذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما
امرت به يعني اذا رأيتم ما تكرهون من الريح اذا هبت فارجعوا الى ربكم بالتوحيد وقولوا اللهم
انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما امرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر
ما امرت به ففي هذا عبودية لله وطاعة له ولرسوله واستدفاع للشرور به وتفويض الفضل و
نعمته وهذا حال اهل التوحيد والايمان خلافا لحال اهل الفسوق والعصيان الذين حرموا خير
طعم التوحيد الذي هو حقيقة الايمان قوله باب قول الله تعالى يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية

يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله الآية وهذه الآية ذكر الله تعالى في سياق قوله
في ذكر وقعة احد ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم يعني اهل الايمان
والثبات والتوكل الصادق وهم الذين قال الله تعالى فيهم انصر رسوله صلى الله عليه وسلم وينجز له ما قال
وهذا قال وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف يظنون بالله غير
الحق ظن الجاهلية كما قال تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين
ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء الآية وهكذا هؤلاء اعتقدوا ان الامر كما ظهر لهم تلك الساعة
ظنوا انها الفيصلة وان الاسلام قد باد واهله وهذا شان اهل الريب والشكوك اذا حصل
امر من الامور الفضيعة تحصل لهم هذه الامور الشنيعة عن ابن جريج قال قيل لعبد الله بن ابي
قتل بنو الخزرج اليوم قال وهل للامر من شيء قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في
الكلام على ما تضمنته وقعة احد وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق به سبحانه بانه لا ينصر
رسوله وان امره سيضمحل وفسر ظنهم انما اصابهم لما لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة
له فيه ففسر بانكار الحكمة وانكار القدر وانكار ان يتم امر رسوله صلى الله عليه وسلم وظاهره
على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون عليهم دائرة السوء وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وانما كان هو ظن السوء ظن الجاهلية وهو المنسوب
الى غير اهل الجهل وظن غير الجهلة لا يظن غير ما يليق باسمائه الحسنى وصفاته العلى وذاته
المبرأة عن كل عيب وسوء وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالالهية وما يليق بوعده
الصادق الذي لا يخلفه وبكلماته التي سبقت لرسوله انه ينصره ولا يخذله وجنده بانهم هم
الغالبون فمن ظن به بانه لا ينصر رسوله ولا يتم امره فلا يؤمن ويوشك ان يحزبه ويعلمهم درس
نظرهم باعدائهم ونظيرهم ولينه لا ينصر دينه وكتابه وانه يديل الشرك على التوحيد اد الة
مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا تقوم بعده ابدا فقد ظن السوء وتنسبه الى
خلاف ما يليق بجلاله وكماله ونعوته فان حمده وعزته والهيته تابى ذلك وتاباه
ان يذل حزبه وجنده وان تكون النصرة المستمرة والظفر الدائم لاعدائه المشركين
به العادلين به من ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف ربه وسبه وملكه وكذلك من
انكر ان يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق عليها
وانه وكمه انما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغاية مطلوبة هي احب اليه من فواتها
وان تلك الاسباب المكروهة المقتضية لها لا يخرج تقديرها عن الحكمة بل اقتضاؤها الى ما

يجب وان كانت مكروهة له فما قدرها سدى ولا شاها عبثا ولا خلقها باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار واكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فما ظنكم بمن
يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذكر الامر عز اسمه واشانته وصفانه وموجب حكمته وحمده ش
فمن قنط من رحمته وايس من روحه فقد ظن به ظن السوء ومن جوز عليه ان يعذب اولياءه مع احسانهم
واخلاصهم وسعيهم بينهم وبين اعدائه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه يترك خلقه سدى معطلين
عن الامر والنهي ولا يرسل اليهم رسلا ولا ينزل اليهم كتبا بل يتركهم هملا كالانعام فقد ظن ظن السوء
ومن ظن انه لن يجمعهم بعد تمزقهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها باحسانه والمسيء
باساءته وبه لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه وظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسوله وان اعداءه
كانوا هم الكاذبين فقد ظن بظن السوء ومن ظن انه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصا لوجهه
على امتثال امره ويعطل عليه بلا سبب منه اصلا وانه يعاقبه بما لا صنع له فيه ولا احتيال له
ولا قدرة ولا ارادة له في حصوله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به او ظن به انه يجوز عليه
ان يثيب اعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها انبياءه ورسله ويحرمها على ابدهم
ليضلوا بها عباده وانه يحسن منه كل شيء حتى لو عذب جبريل وابنه محمدا في عمل طاعة فخلده في الجحيم مع اسفل
سافلين ونعيم من استغفر عدوه في عداوته ودينه فيرفعه الى اعلى عليين وكلا
الامرين في الحسن سواء عنده ولا يعرف ارتفاع احدهما ووضع الآخر الا بخبر صادق والعقل لا
يقضي بقبح احدهما وحسن الآخر فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه اخبر عنه ونعت وصفاته
وافعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل وترك الحق الذي اخبر به وانما دل به رموزا لبعده وانه
اليه اشارات ملغزة لم يصح به وصح دائما التشبيه والتمثيل والباطل وامر الله خلقه
ان يتبعوا اذهانهم وقواهم وافكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه وتحريفه تاويلا على غير
تاويله وتبطيله وجمع الاضمامات المنكرة والتاويلات التي هي الى الالغاز والاحاجي
اشبه منها بالكشف والبيان وما علموا معرفة اسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لاعلى
كتابه بل اراد منهم ان يحملوا كلامه على ما يعرفونه من كلامهم خطابهم ولغتهم مع قدرته على ان
يصح لهم الحق الذي لا ينبغي التصحيح به وبرئ بعضهم من الالفاظ التي وقعوا في اعتقاد الباطل
فلم يفعل بل سلك بهم غير طريق البيان فقد ظن به ظن السوء فانه ان قال انه غير قادر
على التعبير عن الحق بالفظ الصحيح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن به بقدرته العجز وان قال انه قادر

ولم

جامعة الملك عبد العزيز
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

ولم يبينه وقد زعم انه بينه وعبر عن التصريح بالحق الذي بعث به رسوله بالوقوع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد
فقد ظن به عجزه ومن ظن السوء ومن ظن انه وسلفه عبروا عن الحق بضد عبارته دون الله ورسوله
والله الهادي والحق في كلامهم وعباراتهم واما كلام اسوأ فما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل
والضلال وظاهر كلام المنزهين الحيارى هو الباطل فهذا من سوء الظن به وكل هؤلاء من الظانين
بالله ظن السوء ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية ومن ظن به ان يكون في ملكه ما لا يشاء ولا
يقدر على ايجاده ويكون بخلافه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه كان معطلا من الازل الى الابد عن
ان يفعل وان يتصف بصفة الفعل ثم صار قادرا عليه بعد ان لم يكن قادرا فقد
ظن به ظن السوء ومن ظن انه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات ولا اعدادها ولا النجوم
ولا بني آدم وحركاتهم وافعالهم ولا يعلم شيئا من الموجودات في الاعيان فقد ظن به ظن السوء
ومن ظن به انه لا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا ارادة ولا كلام يقوم به وانه لا يكلم احدا من الخلق
ولا يتكلم ابدا ولا يقول ولا يقول ولا امر ولا نهي يقوم به فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه ليس
فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وان نسبة ذاته الى عرشه كنسبتها الى اسفل سافلين والى
الامكنة التي يرغب عن ذكرها وانه اسفل كما انه اعلى اذ من قال سبحان ربي الاسفل كما قال سبحان ربي
الاعلى فقد ظن به اقبح الظن واسوءه ومن ظن انه يحب الكفر والفسوق والعصيان ويحب
الفساد كما يحب الايمان والبر والطاعة والاصلاح فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه لا يحب ولا يرضى
ولا يغضب ولا يسخط ولا يعادي ولا يوالي ولا يقرب من احد من خلقه ولا يقرب منه احد وان
ذوات الشيء طرفي القرب منه كذا واحد كالكفر المقربين واوليائه المفلحين فقد ظن به ظن السوء
ومن ظن به انه يساوي بين المتضادين او يفرق بين المتساويين من كل وجه او يحيط
كل عالم الدنيا الخالصة الصرفة بكيفية واحدة تكون بعدها فيخلد فاعل تلك الطاعات في الجحيم
ابد الآبدين تلك الكيفية ويحبط باجمع طاعاته ويخلده بها في العذاب كما يخلد من لم يؤمن به
طرفة عين واستغفر ساعة عمره في مساخطه ومعاداة رسله ودينه فقد ظن به ظن السوء
ومن ظن ان له ولدا او شريكا او ان احدا يشفع عنده بدون اذنه او ان بينه وبين خلقه
وسائط يرفعون صوالحهم اليه وانه نصب لعباده اولياء يتقربون بهم اليه ويتوسلون
بهم اليه ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به اقبح الظن واسوءه
ومن ظن به انه يثاب احدا بمعصيته ويعاقبه بطاعته كما يثاب بالطاعة والتقرب اليه فقد ظن به

خلاف حكمه وخلاف موجب اسمائه وصفاته وهو سوء ظن السوء ومن ظن به انه اذا تركه لشيء لاجله لم يعوضه خيرا منه او من فعل شيئا لاجله لم يعطه افضل منه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه يغضب على عبده ويعاقبه ويمقته بغير جرم ولا سبب من العبد الا بمجرد المشيئة ومحض الارادة فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه اذا صدقه في الرغبة والرهبة وتضرع اليه وسأله واستعان به وتوكل عليه انه يخيبه ولا يعطيه ما سأل فقد ظن به ظن السوء وظن بخلاف ما هو اهله وهو من ظن به انه يشبه اذا اعصاه كما يشبه اذا اطاعه وسأله ذكره في دعائه فقد ظن به خلاف ما يقتضيه حكمته وحمده وخلاف ما هو اهله وسأل الفعله ومن ظن به انه اذا اغضبه واستحق به ان يمحقه من الوجود كما محق من قبله من الامم الذين اتخذوا من دونه اولياء ودعاه من دونه ملكا او شريكا او معينا او ظهيرا كما يكون من يريد ان ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه فقد ظن به ظن السوء فاسد الخلق بل كلهم لا يسأله بظنون بالله غير الحق وظن السوء فان غالب بني آدم يعتقد انه بخيل ما لم يظهر الكرم وانه يستحق ذلك وقد عاشرناهم وسبرنا حاله عند الظلمة الذين يرى ان ما استحقه ونفسه تشهد عليه بذلك وهو يلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به ومن فتش نفسه وتغلغل في طواياها رأى ذلك فيها كامنا كمون النار في الزناد فاقدح زنادا من شئت ينبك شرر عمله وزناده ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على ربه القدر وملامة له واتهاما لحكمته في قضائه وقدره وظنا به ان الذي منعه كان ينبغي له كذا وكذا وفتش نفسك هل انت سالم فان تنج منها تنج من ذي عظيمة والا فاني لا اخالك ناجيا

فالمعتني اللبيب الناصح لنفسه يرد هذا الوضيع والتسلل اليه ويستغفره منه كلما وقع منه ظن به ظن السوء والظن السوء بنفسه الذي هو اهله كل شر ومنع كل شر الربوبية عن الجهل والظلم هو الذي ظن السوء فاحكم الحاكمين واعدل العادلين واجهل الجاهلين الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وافعاله واسمائه فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وافعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل واسماؤه كلها حسنى

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فان الله اولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قط خيرا ... فكيف ظالم جان جهول
وذل بالذي ما فيك سوء ... اترجو الخير وهو بك بخيل
فظن بنفسك السوء تجدها ... كما اكرمت ضيفها كالمستحيل
وما بك من تقي فيها وخير ... فتلك مواهب الرب الجليل
وليس لها ولا منها ولكن ... من الرحمن فاشكر للدليل

فتأمل هذا

قوله الظانين بالله ظن السوء قال ابن جرير في تفسيره وبعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء الظانين بالله بانه لن ينصر محمدا واهل الايمان بل يديل عليهم الاعداء وان يظهر كلمة الكافرين وذكر ان ذلك كان ظن السوء من ظنوا منهم الذي ذكر في هذا الموضع يقول تعالى ذكره فيعذب الله بما ذكرت من ظنونهم بالله ظن السوء المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء يعني دائرة العذاب تدور عليهم به واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة قراء الكوفة دائرة السوء بفتح السين وقرأ بعض قراء البصرة دائرة السوء بضم السين وكان الفراء يقول الفتح افشى في السين وقيل ما تقول العرب دائرة السوء بضم السين قوله وغضب الله عليهم يقول ونالهم بغضب منه ولعنهم يقول وابعدهم فاقصاهم من رحمته واعد لهم جهنم وساءت مصيرا يقول وشاءت جهنم منزلا يصيرون اليها هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات وقال العماد به كثير رحمه الله تعالى وبعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء اي يتهمون الله في حكمه وينظنون بالرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال تعالى عليهم دائرة السوء وقد ذكر في معنى الآية الاخرى نحو ما ذكره ابن جرير رحمه الله تعالى قوله قال ابن القيم رحمه الله تعالى الذي ذكره المصنف في المتن قطعة لا اندراج له في كلام الذي سقتم من اوله الى آخره قوله باب ما جاء في منكري القدر

اي من الوعيد الشديد وقد ذكر احمد ابو داود عن عبد الغفار ابو جعفر ابو عثمان ابيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وعن عمر معرفوعا غفر لرجل في الانصار يقال له حذيفة وهو اليماني رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من عاد منهم فلا تشهدوهم جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال قوله وقال ابن عمر والذي نفسي بيده الخ حديث ابن عمر هذا اخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال كان اول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت انا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين او معتمرين فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق الله لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد فاكتنفته انا وصاحبي فظننت ان صاحبي سيكل الكلام الي فقلت يا ابا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا اناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم يزعمون ان لا قدر وان الامر

انه قال اذا لقيتهم فاخبرهم اني بريء منهم وانهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان
لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه في سبيل الله ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض
الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت
فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرني عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه و
رسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد
الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها
باعلم من السائل قال فاخبرني عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة
العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال فانطلق فلبثت ثلاثا ثم قال يا عمر اتدري
من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل اتاكم يعلمكم امر دينكم
ففي هذا الحديث ان الايمان بالقدر فرض من اصول الايمان الستة المذكورة فمن لم يؤمن بالقدر
خيره وشره فقد ترك اصلا من اصول الدين وجحد ركنا من قال الله فيه انا كل شيء خلقناه بقدر
بعض الكتابيين وتكفرون ببعض الآية قوله وعن عبادة بن الصامت قد تقدم ذكره في
باب فضل التوحيد وحديثه هذا رواه ابو داود ورواه الامام احمد بكماله قال حدثنا الحسن
ابن سوار حدثنا ليث عن معاوية عن ايوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عباده
حدثني ابي قال دخلت على عبادة وهو مريض اتخايل فيه الموت فقلت يا ابتاه اوصني واجتهد
لي فقال اجلسوني فقال يا بني انك لن تجد طعم الايمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن
بالقدر خيره وشره قلت يا ابتاه وكيف لي بالعلم بالقدر وشره قال تعلم ان ما اخطأك لم
يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرت بما هو كائن الى الابد يا بني
ان هلكت على غير هذا دخلت النار رواه الترمذي بسنده المتصل

وقال
الى عطاء ابن ابي رباح عن الوليد بن عبادة عن ابيه نحوه وقال حسن صحيح غريب وفي هذا
الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى واحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة
كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقد قال الامام احمد رحمه الله
لما سئل عن القدر قال القدر قدرة الله وقال الحسن بن محمد بن علي هذا من احمد رحمه الله
والمعنى انه لا يتمنع من قدرة الله شيء وقال القدر قدرة الله وقد حجد واكما قدرة الله وضلوا عن
سواء السبيل وقد قال بعض السلف ناظروهم بالعلم فان اقروا به خصموا وان جحدوه
كفروا قوله وفي المسند والسنن لابي داود عن الوليد وهو ابو بشر بالسين المهملة
وبالباء المضمومة ويقال ابو بشير بالشين المعجمة وكر الياء وبعضهم صحف الاسم واسم
عبد الله بن ابي فيروز ولفظ ابي داود قال لي ابان الله عند بن اهل سمعته واهل ارضه
عند بهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم ولو انفقت مثل
احد ذهبا ما قبله الله منك حتى تحيى بالقدر وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما
اخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لكنت من اهل النار وقال فاتيت عبد الله
ابن مسعود فقال مثل ذلك قال فاتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ثم اتيت زيد
ابن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك رواه ابو داود واخرجه ابن ماجه وقال العدل بن
كثير رحمه الله تعالى عن سفيان عن منصور عن ربعي بن خراش عن رجل عن علي بن ابي طالب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت وبالقدر
خيره وشره وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به
ورواه من حديث ابي داود الطيالسي عن شعبة عن ربعي عن علي فذكره وقد ثبت
في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب عن عمرو عن ابي هانئ الخولاني عن ابي عبد الرحمن
الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب مقادير الخلائق

شبكة الألوكة www.alukah.net

قدر ان يخلق السموات والارض في خمسين الف سنة زاد به وهبوكان عرشه على الماء رواه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وكل هذه الاحاديث وما في معناها ترد الوعيد
الشديد على عدم الايمان بالقدر وهو الحجة على الفئة القدرية المعتزلية وغيرهم ومن مذهبهم
تخليد اهل المعاصي في النار وهذا الذي اعتقدوه من اكبر الكبائر واعظم المعاصي وفي
الحقيقة اذا اعتبرنا فانه الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة في اثبات
القدر فقد حكموا على انفسهم بالخلود في النار لانه يستحيل وجود هذا الازم على مذهبهم هذا
وقد خالفوا ما تواترت به ادلة الكتاب والسنة من اثبات القدر وعدم تخليد اهل
الكبائر من الموحدين في النار **قول باب ما جاء في المصورين** اي من عظيم عقوبة الله
لهم وعذابه وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان اعلى وصف المظاهاة لخلق الله عز وجل تعالى الخالق
البارئ المصور رب كل شيء ومليكه وخالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات
وجعل فيها الارواح التي تحصل بها الحيوة كما قال تعالى الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فليس احد من المصورين لصور الصنم على
شكل ما خلقه الله كهامة انسان او بهيمة صار مظاهيا لخلق الله فصار حاصل
امره ان عذب يوم القيامة وكلف ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فصار اشد الناس عذابا
لانه ذنبه مذكور الذنوب فاذا كان هذا حكم صور صورة على فعال ما خلقه
الله تعالى من الحيوان فكيف من سوى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه وصرف
له شيئا من العبادة التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من ملك
مقرب على عجز الله من العبد وبرضاه فتسويته الخلوق بالخالق بصرف ضعف له لا يستحقه
من خلقه وجعل شريكا له فيما اختص به كما وتقدس فهو اعظم ذنب عصي الله به كما ولهذا
ارسل رسله وانزل كتبه ليبان هذا الشرك والنهي عنه واخلاص العبادة بجميع انواعها
لله تعالى فمن تعالى رسله ومن اطاعهم واهلكه بجحد التوحيد واستمر على الشرك
والتنديد فما اعظم ذنبه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه
الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق **قوله**
وسلم عن ابي الهياج الاسدي صيان بن حصين **قال قال**

لي

لي علي هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه **قوله الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم**
الا تدع صورة الا طمستها ولا قبرا مشرفا الا سويته فيه تصريح بان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث عليا لذلك لما الصور فلمحوها لما يخلق الله واما تسوية القبور فلما فيها من تعلية
الفتنة بارتيابها وتعظيمها وهو ذريعة الشرك ووسائله فصرفهم الى هذا واسئالهم من مصالح
الدين ومقاصده واجنانه ولمواضع اشاهدنى هذه الامور وقع المحذور ووقعت الفتنة بارتياب
القبور وصارت محط الرحال العابدين المعظمين لها فصرفوا لاجل العبادة من الدعاء والاستغاثة
والنضوع لها والذبح لها اعظم الشرك وغير ذلك من مظاهر الشرك معظم محظور قال العلامة ابن القيم
رحمه الله ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور والامر به ونهي عنه وما كان عليه
اصحابه وما كانوا عليه اعلم الناس اليوم وبين احد هما مضادا للاخر فما انصف لا يحب لا
يجتمعان فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عندها واليها
ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمون ما شاهد مضاهاة لبيوت
الله ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقدون عليها ونهى ان تتخذ
عيدا وهؤلاء يتخذونها اعيادا ومناسك ويجمعون لها كاجتماعهم للعيد او اكثر ونهى عن امر
فعلوه بها وروى مسلم عن ابي الهياج الحديث الباب وحديث ثمامة بن شفي وهو
عند مسلم ايضا قال كنا مع فضالة بن عبيد بارض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فامر فضالة
بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وهذا لا ريب الغرض في مخالفة هذين
الحديثين ويرفعونها كالبيوت ويعقدون عليها القباب ونهى عن تجصيص القبر والكتابة
عليه كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور وان
يقعد عليها وان يبنى عليه ونهى عن الكتابة عليها كما روى ابو داود في سننه جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن تجصيص القبور وان يكتب عليها قال الترمذي حديث حسن صحيح وهؤلاء لا يتخذون عليها الالواح
ويكتبون عليها القرآن وغيره ونهى ان يزاد عليها غير ترابها كما روى ابو داود عن جابر ايضا نهى ان
يجصص القبر او يبنى عليه او يزاد عليه وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والاحجار والجص قال
ابراهيم النخعي كانوا يكرهون الآجر على قبورهم **والمقصود** ان هؤلاء المعظمين للقبور
المتخذين عندها اعياد الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب ناضون

شبكة الألوكة www.alukah.net

لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد دون لما جاء به واعظم ذرائع اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها
وهو من الكبائر وقد صرح الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم بتحريمه قال ابو محمد المقدسي ولو ابيح
اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولا نهى فيه افراطا في تعظيم القبور اشبه تعظيم الاصنام قال
وهو يجوز اتخاذ المساجد على القبور لنهي الخبر ورد النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود
النصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر مما صنعوا متفق على وان تجصيص القبور
يشبه تعظيم الاصنام بالسجود لها والتقرب اليها وقد رويتا ان ابتداء عبادة الاصنام تعظيم
الاموات باتخاذ هم صورا والتمسح بها والصلاة عندها انتهى وقد آل الامر بهؤلاء الضلال
المشركين الى ان شرعوا للقبور وحيا ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا كما
وسماه مناسك حج المشاهد فضاهات فيه بالقبور للبيت الحرام ولا يخفى ان هذا مفارقة
لدين الاسلام ودخول في دين عباد الاصنام فانظر الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء
وقصدوه ولا بد ان في ذكر بعض المفاسد المترتبة على جملة منها تعظيمها الموقع في الافتتان
بها ومنها اتخاذها اعيادا وقد السفر اليها ومنها مشابهة عباد الاصنام بما يفعل عندها
من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدنتها وعبادها ويحرمون
المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام فيرون سدنتها افضل من خدمة المساجد والدليل
لقيمها المعلة يطفي القنديل المعلق عليها ومنها النذر لها ولسدنتها ومنها اعتقاد المشركين انها
ترد بها كيد البلاء وينصر على الاعداء وتستنزل الغيث من السماء وتغيث المكروب وتقضي الحوائج
وينصر المظلوم ويجار الخائف الى غير ذلك ومنها الدعوة لغير الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها
وايقاد السرج عليها ومنها الشرك الاكبر الذي يفعل عندها ومنها ايذاء اصحابها بما يفعله
المشركون عند قبورهم فانهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة كما ان المسيح
عليه السلام يكره ما يفعل النصارى عند قبورهم وكذلك يكره من الانبياء والاولياء والمشايخ
ما يفعله اشباه النصارى عند قبورهم ويوم القيمة يتبرءون منهم كما قال تعالى ويوم
يحشرهم فيقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم الآية ومنها اماتة السنن واحياء البدع ومنها تفضيلها على غيرها من البقاع
واجبها الى السفر لعباد القبور بقصدها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورفع الصوت
والعكوف بالليل على الموتى ما لا يفعلونه في المساجد ولا قريبا منه ومنها ان النذر الذي شرع
الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو نذر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء والترحم
عليه والاستغفار وسؤال العافية فيكون الزائد محنا الى نفسه والى الميت وقلب هؤلاء
المشركون الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به
وسؤاله حوائجهم واستنزال البركة منه ونصره لهم على الاعداء وكم قد صاروا وصيروا الى
الشرك والى الميت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى الرجال عن زيارة القبور
سدا للذريعة فلما عكس التوحيد عليهم اذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم
ان يقولوا هجرا ومن اعظم الهجر الشرك عندها هو فعلا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكر الموت وعن ابن عباس قال
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا اهل
القبور يغفر الله لنا ولكم وانتم سلفنا ونحن بالاثر رواه الامام احمد والترمذي وحسنه غرضه الزيارة
التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وعلمهم اياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده اهل الشرك
والبدع ام تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه وما احسن ما قال مالك بن انس رحمه الله تعالى
لو يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود انبيائهم ونقص
ايمانهم عوضوا عن ذلك بما احدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا
جانبه حتى كان احدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم واراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره
الى جدار القبر ثم دعا ونص على ذلك الائمة الاربعة انه يستقبل القبلة عند وقت الدعاء لا يدعوا
عند القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيره مرفوعا الدعاء هو العبادة فجرد السلف قصدها
فلم يقصدوا القبور ولا عندها وفيها الامام اذن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء لاصحابها والاستغفار لهم والترحم
عليهم واخرج ابو داود وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا

وكانوا قوما بورا قال الله للمشركين فقد كذبوكم بما تقولون وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق الآية
وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم الآية ومنها اماتة السنن واحياء البدع ومنها تفضيلها على غيرها من البقاع
واجبها الى السفر لعباد القبور بقصدها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورفع الصوت
والعكوف بالليل على الموتى ما لا يفعلونه في المساجد ولا قريبا منه ومنها ان النذر الذي شرع
الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو نذر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء والترحم
عليه والاستغفار وسؤال العافية فيكون الزائد محنا الى نفسه والى الميت وقلب هؤلاء
المشركون الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به
وسؤاله حوائجهم واستنزال البركة منه ونصره لهم على الاعداء وكم قد صاروا وصيروا الى
الشرك والى الميت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى الرجال عن زيارة القبور
سدا للذريعة فلما عكس التوحيد عليهم اذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم
ان يقولوا هجرا ومن اعظم الهجر الشرك عندها هو فعلا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكر الموت وعن ابن عباس قال
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا اهل
القبور يغفر الله لنا ولكم وانتم سلفنا ونحن بالاثر رواه الامام احمد والترمذي وحسنه غرضه الزيارة
التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وعلمهم اياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده اهل الشرك
والبدع ام تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه وما احسن ما قال مالك بن انس رحمه الله تعالى
لو يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود انبيائهم ونقص
ايمانهم عوضوا عن ذلك بما احدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا
جانبه حتى كان احدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم واراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره
الى جدار القبر ثم دعا ونص على ذلك الائمة الاربعة انه يستقبل القبلة عند وقت الدعاء لا يدعوا
عند القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيره مرفوعا الدعاء هو العبادة فجرد السلف قصدها
فلم يقصدوا القبور ولا عندها وفيها الامام اذن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء لاصحابها والاستغفار لهم والترحم
عليهم واخرج ابو داود وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا

شبكة الألوكة www.alukah.net

تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وسناده جيد ورواته ثقات
مشاهير وقوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا اي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة
فتكون بمنزلة القبور وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى واشباههم ثم
ان في تعظيم القبور واتخاذها اعيادا من المفاسد العظيمة التي لا تعلمها الا الله ما يغضب
لاجله كل من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد وتنجيه وتقبيح للشرك ولكن ما الحرج ثابت
ايلام فمن المفاسد اتخاذها اعيادا والصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها و
تعفير الخدود على ثراها وعبادة اصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية
وقضاء الديون وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وغير ذلك من الطلبات التي كان عباد الا
وثان يسألونها اوثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا
رأوها من كل مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤوس وارتفعت
اصواتهم بالضجيج وشاكوا حاجتهم النتيجة ورأوا انهم قد ربحوا في الزيح على الحجيج
بمن لا يبدي ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين
ورأوا انهم قد احرزوا من الاجر ولا اجر من صلى الغبلتين فتراهم حول القبر ركعا وسجدا يبتغون
فضلا من الميت ورضوانا وقد ملئوا اكفهم خيبة وخسرانا فلغير الله بل للشيطان ما راق هذا
في العيان وهو نفع من الاصوات وتطلبه الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات
واغاثة ذوي الفاقات وعافات ذوي العاهات والبليات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر
طائفين تشبيها بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم اخذوا في العقل و
الاستلام ارعيت الحجر الاسود وما يفعلونه وفد البيت الحرام ثم عفروا تلك الجباه والخدود
التي يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كملوا مناسك الحج القبري بالتقصير
هناك والحلاق واستمعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وقد يعطل
لذلك الوثن الغرابين وكانت صلاتهم و تسليمهم وقرباتهم لغير الله رب العالمين فلو رأيتهم
يهنئ بعضهم بعضا ويقول اجزل الله لكم اجرا وحظا فاذا رجعوا الى محلاة المتخلفين
ان يبيع احدهم ثوبا بحجة القبر بح المتخلف الى البيت فيقول الا ولا تحلق لك عام هذا ولم تتجاوز
فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم اذ هي فوق ما نحط بالبال ويدور
في الخيال وهذا مبدأ عبادة الاصنام في قوم نوح كما تقدم وكلمة شرك ادنى الحظوظ من العلم والفقه
يعلم انه من اهم الامور سد الذريعة الى هذا المحظور وان صاحب الشرع اعلم بعافية ما نهى عنه

وما

وما ثم الا به واحكم في نهيه عنه ووعده عليه وان الخير والهدى في اتباعه وطاعته والشر والضلال
في معصيته ومخالفته انتهى رحمه الله تعالى قوله باب ما جاء في كثرة الحلف اي من
الذم عنه والوعيد وقول الله تعالى واحفظوا ايمانكم قال ابن جرير لا تبروها بغير تكفير وذكر
غيره عن المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا وقال آخرون واحفظوا ايمانكم عن الحنث فلا
تحنثوا والمصنف اراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس فان القولين متلازمان فيلزم من
كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف وعدم التعظيم لله وفي ذكر هذا في
كتاب التوحيد الواجب اعتقاده قوله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب اخرجاه اي البخاري ومسلم و
اخرجه ابو داود والنسائي والمعنى انه اذا حلف على سلعته انه اعطي فيها كذا وكذا وانه اعطاها
بكذا وكذا وقد نظنه المشتري صادقا فيما حلف عليه فاخذها بزيادة على قيمتها والبائع
كذب وحلف فهما في الزيادة فيكون قد عصى الله تعالى فتعاقب بمحق البركة فاذا ذهبت
بركة كسبه دخل عليه من النقص اعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه وربما ذهب
بمن تلك السلعة رأسا وما عند الله لا ينال الا بطاعته وان تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها هو
الضمحلال والذهاب وعقاب قوله وعن سلمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا
يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وعائل مستكبر ورجل جعل الله بضاعته
لا يشتري الا بيمينه ولا يبيع الا بيمينه رواه الطبراني بسند صحيح من سلمان لعله سلمان الفارسي رضي الله عنه
اسلم متقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وشهد الخندق وروى عنه ابو عثمان النهدي وشرحبيل
ابن السمط وغيرهما قال النبي صلى الله عليه وسلم وسلمان منا اهل البيت ان الله يحب من اصحابي اربعة
عليا وابا ذر وسلمان والمقداد اخرجه الترمذي وابن ماجه قال الحسن كان سلمان امير اثنين
الناس يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ست وثلاثين
عن ثلاثمائة وخمسين سنة ويحتمل انه سلمان بن عامر الباهلي الصحابي قوله ثلاثة لا يكلمهم الله نفي كلام
الرب تعالى وتقدس عن هذا لا ينافي الخلاص العصاة ودليل على انه يكلم من اطاعه وان الكلام صفة من صفاته
كماله والادلة على ذلك من الكتاب والسنة اظهر شيء وابينه وهذا هو الذي عليه اهل السنة والجماعة
من المحققين قائم الافعال به سبحانه وانه افعل يفعل بمشيئته تعالى وقدرته شيئا فشيئا ولم
يزل متصفا به فنوع حادث الآحاد قديم النوع كما يقول ذلك ائمة اصحاب الحديث وغيرهم

من اصحاب الشافعي واحمد وسائر الطوائف كما قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان
بالحروف الدالة على الاستقبال وارتفاع الدلالة على الحال والاستقبال الضا وذلك في القرآن كثير
قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فاذا قالوا لم يزل يعني الكفاية فهذا يلزم ان تكون الحوادث قائمة
به قلنا وهذا انكره قبلكم من السلف والائمة ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل
ولفظ الحوادث مجمل فقد يراد به الاعراض والنقائص والعيوب ونحو ذلك ولكن يقوم به ما شاء
من كلام وفعل ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة والقول الصحيح قول اهل العلم الذين
يقولون لم يزل الله متكلما اذا شاء كما قال عبد الله بن المبارك واحمد بن حنبل وغيرهما من ائمة السنة
انتهى قلت وهي قيام الحوادث به تعالى قيودته عليها ايجادها بمشيئته وامره
والله اعلم قوله ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم فعوقبوا بهذه
الثلاث التي هي اعظم العقوبات قوله اشيمط زان صفة تخصه له وذكر لاصحاب المعصية ضعف
في حقه فدل على ان الحامل له على الذنب المعصية والفجور وعدم خوفه من الله وضعف الداعي
الى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه بخلاف من فعلها لقوة داعي الشهوة هنه
قد تغلبه مع خوفه من الله وقد يرجع على نفسه باللوم ولومها على المعصية قمن ويرجع وكذا
العايل المستكبر ليس له ما يدعوه الى الكبر لان الداعي الاكبر في الغالب كثرة المال والنعم والكبر بالشرف
والعيلة الفقر لا داعي له الى ان يستكبر فاعلى ستكبان مع عدم الداعي اليه يدل على ان الكبر
طبيعة له كان في قلبه فعظمت عقوبته لعدم الداعي الى هذا الخلق الذميم الذي هو من اكبر المعاصي قوله
ورجل جعل الله بظاعته بنصب الاسم الشريف اي الحلف به جعله بظاعته لملازمته وغلبته
عليه وهذا عمال تدل على ان صاحبها انه كان موحدا فتوحيده ضعيف واعماله ضعيفة
بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعلم مشاركة المعاصي لعظيم على الداعي الايمان نسئل الله
السلامة والعافية ونعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه قوله وفي الصحيح اي صحيح
مسلم اخرجه ابو داود والترمذي ورواه البخاري بلفظ خيركم قوله عن عمران بن حصين
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه
ويمينه شهادته ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم
السمن قوله خيركم امتي قرني لفضيلة اهل ذلك القرن في العلم والايمان والاعمال الصالحة

الذي

من ٥١

التي يتنافس فيها المتنافسون ويتفاضل فيها العاملون فغلب الخير فيها وكثر اهله وقل الشر
فيها واهله واعتز فيها الاسلام والايمان وكثر فيها العلم والعلماء ثم الذين يلونهم فضلوا
بظهور الاسلام فيهم وكثرة الداعي اليه والرغبة فيه والقائم به وما ظهر فيه من البدع انكروا واستعظموا
وازيلت ببعثة الخوارج والقدرية وامثالهم فهذه البدع وان كانت قد ظهرت فاهلها في غاية
الذل والمقت والهوان والقتل فمن عاند منهم ولم يتب قوله فلا ادري اذكر بعد قرنه
مرتين او ثلاثا هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين رضي الله عنه ولكن المشهور في الروايات
ان القرون الثلاثة المفضلة الثالث دون الاولين في الفضل لكثرة ظهور البدع فيه لكن
العلماء متوفرون والاسلام فيها ظاهر والجهاد فيه قائم ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة
من الجفا في الدين وكثرة الاهوج قال ثم ان بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون
لاستخفافهم بامر الشهادة وعدم تحريهم للصدق وذلك لقلة دينهم وضعف
اسلامهم قوله ويخونون ولا يؤتمنون يدل على ان الخيانة قد غلبت على كثير منهم واكثرهم
وينذرون ولا يوفون اي لا يؤدون ما وجب عليهم فظهور هذه الاعمال الذميمة يدل على
ضعف اسلامهم وعدم ايمانهم قوله ويظهر فيهم السمن لرغبتهم في الدنيا ونيل شهواتها
والتنعم بها وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها وفي حديث انس الآتي زمان الا والذي بعده
شر منه حتى تلقوا ربكم قال انس سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم فالمراد الشر الشديد في الامة حتى
ظهور الشرك والبدع في كثير منهم حتى فيمن ينتسب الى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف
قلت بل قد دعوا الى الشرك والضلال والبدع وصنفوا في ذلك نظما ونثرا فنعوذ بالله من
موجبات غضبه وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم ثم يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته قلت
وهذه حالة صرف رغبته الى الدنيا ونسي المعاد فخامر الشهادة والايمان عند تحملا
وادائه لغلبة خوف غير من الله وعدم مبالاته بذلك وهذا هو الغالب على الاكثر والله المستعان
فاذا كان هذا قبل القرن الاول ففي ما بعده اكثر ضعافا فكن من الناس على حذر قوله
قال ابراهيم هو النخعي كما بين في رواية تتابع الشهادة والعهد وفي صفار وذكر لكثرة
علم التابعين وقلة ايمانهم ومعرفتهم بربهم وقيامهم بوضيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه

من افضل الجهاد ولا يقدم الدين الا به وفي هذا نظر بين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم
وذكر فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم **باب ما جاء في ذمة**
الله وذمة رسوله وقول الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الا
يمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا الاية قال الحماد بن كثير رحمه الله
وهذا مما امر الله به تعالى وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الايمان ولهذا قال ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها ولا تعاضد بين هذا وبين قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وبين
قوله ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم اي لا تتركوها بغير تكفير وفي الصحيحين انه
والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير منها وتحللتها
وقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها هذه الايمان المراد بها الايمان المنعقدة في العهود والمواثيق
لا الايمان الواردة على منع وهذا قول مجاهد في الآية يعني الحلف اي حلف الجاهلية وبذلك
جاء رواه الامام احمد عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام واي حلف
في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ومعناه ان الاسلام لا يحتاج معه الى الحلف الذي كان اهل
الجاهلية يفعلونه فان في التمسك بالاسلام حماية وكفاية عما كانوا يفعلونه وقوله ان الله يعلم
ما تفعلون تهديد ووعيد **قوله عن بريدة** هو ابن الحصيب الاسلمي وهذا الحديث
من رواية ابنه سليمان عنه قاله في المفهم قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا
على جيش او سرية اوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله تعالى فيمن معه من المسلمين خيرا
اي ووصاه بمن معه ان يفعل بهم خيرا من الرفق بهم والاحسان اليهم وخفض الجناح
لهم وترك التعاظم عليهم قوله اغزوا باسم الله اي شرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله
مخلصين له قلت فتكون الباء في باسم الله للاستعانة والتوكل على الله تعالى قاتلوا من كفر بالله
هذا العموم يشمل جميع اهل الكفر المحاربين وغيرهم وقد خصص منهم مرأة عهد والرهبان
والنسوان ومن لم يبلغ الحلم وقد قال متصلا بهذا ولا تقتلوا وليدا وانما نهى عن قتل الرهبان
والنسوان لانه لا يكون منهم قتالا غالبا واما كان منهم قتالا او تدبيرا قتلوا قلت وكذلك الذراري
والاولاد قوله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا وليدا تمثلوا اي لا تغلوا الاخذ
من الغنيمة قبل قسمتها والغدر نقض العهد والتمثيل هنا التشويه بالقتيل كقطع انف

واذنه

واذنه والعبث به والاختلاف في تحريم الغلول والغدر في كراهية المثلة قوله واذا
لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خلال او خصال الرواية بالشك
وهو في بعض الرواة وبعض الخلال والخصال واحد قوله فايتهن ما اجابوك فاقبل منهم
وكف عنهم قيدناه عمن يوثق بعلمه وتفهمه بنصب ايتهن على ان يحمل ما اجابوك
على اسقاط حرف الجر وما زائدة ويكون تقدير الكلام فالى ايتهن اجابوك فاقبل منهم كما تقول
عجبت من اكرامك اي اكرامك فحذف الى الاول فنصب الثاني بحروف الجر قلت فيكون في نصب ايتهن وجهان ذكرهما
الشارح الاول منصوب على الاشتغال والثاني على نزع الخافض قوله ثم ادعهم الى الاسلام كذا و
قعت الرواية في جميع نسخ مسلم ثم ادعهم بزيادة ثم والصواب اسقاطها كما ذكر في غير كتاب
حكم كمصنف ابي داود وكتاب الاموال لابي عبيد لان ذكر هو الابتداء بتفسير الثلاث الخصال
وقوله ثم ادعهم الى التحول الى دار المهاجرين يعني الى المدينة وكان هذا في اول الامر وجوب الهجرة
الى المدينة على كل من دخل في الاسلام وهذا يدل على ان الهجرة واجبة على كل من لم من اهل مكة قوله
فان ابوا ان يتحولوا يعني ان من اسلم ولم يهاجر فلم يجاهد لا يعطى من الخمس ولا من الفيء شيئا وقد
اختلف فيه فقد نفى رحمه الله ان يكون في الحديث في الاعراب فلم يرهم في الفيء شيئا انما لهم الصدقة المأخوذة من اغنيائهم
فترد على فقرائهم كما ان اهل الجهاد واجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عند هم وصرف كل مال
الى اهله وسوى مالك وابو حنيفة بين المالين وجوز اصرفهما للضعيف قوله فان ابوا فاخبرهم
الجزية فيه حجة لمالك واصحابه والاوزاعي في اخذ الجزية من كل كافر عربيا كان او غيره كتابيا كان او غيره
وذهب ابو حنيفة الى انها توخذ من الجميع الا من مشركي العرب وجوسهم وقال ان في لا توخذ الا من اهل
الكتاب جعلا فاسدا وعجزا وهو قول الامام احمد في ظاهر مذهبه وتوخذ من المجوس قلت لان النبي صلى
الله عليه وسلم اخذها منهم وقال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وقد اختلفوا في القدر المفروض في الجزية
فقال مالك اربعة دنانير على اهل الذهب واربعون درهما على اهل الورق وهل ينقص منها الضعيف
او لا فيه قولان وقال الشافعي فيه دينار على الغني والفقير وقال ابو حنيفة والكوفيون هي على الغني
ثمانية واربعون درهما والوسط اربعة وعشرون درهما والفقير اثنا عشر درهما وهو قول احمد
ابن حنبل رحمه الله وقال علي بن يوسف الصدفي المصري الجيلي رحمه الله تعالى
وقاتل يهود والنصارى وعصبة المشيوس فان هم سلموا الجزية اصدد على الاذرعات اثنى عشر درهما ايضا
واربعة من بعد عشرين زيل لا وسطهم حالا دمن كامؤسرا ثمانية مع اربعين لتنقد
وتسقط عن صبيانهم ونسائهم فاسخ لهم فاد واعي وبعد وذا الفقر والجنون او عبد سلم ومن

وعند مالك وكافة العلماء على الرجاء الاحرار البالغين العقلاء دون غيرهم وانما توخذ من كان تحت
قهر المسلمين لامن ناء ببلاد فيجيء بهم الى بلاد المسلمين او حربهم قوله واذا حاصرت اهل حصن
الكلام انما هو فيه فيجب ان يقول من الفقهاء واهل الاصول انه المصيب في مسايل الاجتهاد واحد وهو
المعروف من مذهب مالك وغيره ووجه الاستدلال انه صلى الله عليه وسلم قد نص على ان الله تعالى حكم
معينا في المجتهد فاخذ ومن وافقه فهو المصيب ومن لم يوافقه فهو مخطئ قوله واذا حاصرت اهل
حصن فاراد وك ان تجعل لهم ذمة الله الحديث الذمة العهد وكفر تنقض يقال اخفرت الرجل
اذا نقضت عهده وغدرته اجرته ومعناه انه خاف منه نقض عهدهم يعرف ذلك اما بالعهد كما لابد
فكانه يقول اذا وقع نقض من عهدكان نقض عهد الخلف لهؤلاء من نقض عهد الله تعالى والله اعلم
قوله دقول نافع وقد سئل عن الدعوة قبل القتال ذكر فيه ان مذهب مالك يجمع بين الاحاديث في الدعوة
قبل القتال وهو ان مالكا قال لا يقتل الكفار قبل ان يدعوا ولا تلقى غرتهم الا ان تكون بلغتهم
الدعوة فيجوز ان توخذ غرتهم وهو الذي صار اليه مالك وهو الصحيح ولان فائدة الدعوة
ان يعرف العدو ان المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية وانما يقاتلون للدين فاذا علموا
ذلك امكن ان يكون ذلك سببا جميلا لهم الى الانقياد الى الحق بخلاف ما اذا جهلوا فصولوا المسلمين
فقد يظنون انهم يقاتلون للملك وللدنيا فيزيد وا عتوا ونفورا والله اعلم قوله باب ما
جاء في الاقسام على الله ذكر المصنف فيه حديث جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله لفلان قال الله عز وجل فيه ذا الذي يتالى علي
ان لا اغفر لفلان اني قد غفرت له واحبطت عملك رواه مسلم قوله يتالى يحلف والالية
بالشد يد الحلف صحيح وحديث ابي هريرة قال البغوي في شرح السنة وساق باسناده الى عكرمة
ابن عمار قال حدثني سعيد المدني فتاة شيخ قال يا بني تعال وما اعرفه فجاء لا تقولن لرجل والله
لا يغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الجنة قلت وانت يرحمك الله قال ابو هريرة فقلت ان هذه كلمة يتوقاها
احدنا البعض اهله اذا غضب او زوجته او ولده قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا
كان في بني اسرائيل فتحابا فكان احدهما مجتهدا في العبادة والآخر كانه يقول مذنبا فجعل يقول اقصر عما
انت فيه فيقول خلني وربي فوجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني وربي
ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة ابدا فقبض ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين
فقال لهذا المجتهد اكنت بي عالما او كنت على
ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة وقال للآخر اذهبوا به الى النار آخر قوله في حديث
ابي هريرة انه الرجل عابد بشر الى قوله في هذا الحديث احدهما مجتهد في العبادة وفي هذه
الاحاديث بيان خطر اللسان وذمه وشدة التحذير من الكلام كما في حديث معاذ قلت يا رسول
الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم
او قال على مناخرهم الا حصايد السنتهم والله اعلم قوله باب لا يستشفع بالله على خلقه
وذكر الحديث وساق ابو داود مما في سننه الم مما ذكره المصنف رحمه الله ولفظه عن جبير بن محمد بن جبير
ابن مطعم عن ابيه عن جده قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم اعرابي فقال جهدت الانفس وضاع العيال ونهكت
الاموال وهلكت الانعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويحك اتدري ما تقول وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال ويحك
انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه شان الله اعظم من ذلك ويحك اتدري ما الله ان عرشه على سمواته هكذا
وقال باصبعه قبل القبة عليه وانه ليئط به اطيط الرحل بالراكب قال ابن ياسر في حديثه
ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته قال الحافظ الذهبي رواه ابو داود باسناد حسن عنده في الرد
على الجهمية وحسنه غيره وقول ابن ياسر قوله ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه فانه تعالى
رب كل شيء ومليكه والخير كله بيده لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا يكون الله
ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض وكان عليما قديرا انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
والخلق وما في ايديهم ملكه يتصرف فيهم كيف شاء وهو الذي يشفع الشافع اليه وهذا انكر على الاعرابي
قوله وسع الله كرسيه وعظمه لان هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وتعالى ان شاء الله اعظم مما ذكر وفي هذا
الحديث اثبات علو الله على خلقه وان عرشه على سمواته وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون
والائمة خلافا للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن اخذ عنهم كالاشاعرة ونحوهم ممن الحد في اسماء الله وصفاته
وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلت عليه من اثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله جل وعلا كما عليه
السلف الصالح والائمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة فانهم اثبتوا لله ما اثبته لنفسه واثبته له رسوله من
صفات كماله على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في مفتاح
دار السعادة بعد كلام سبق فيها يعرف العبد بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته قال بعد ذكر والثاني

متواخيين فكان احدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول
اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي ابعثت علي رقيبا قال والله لا يغفر الله لك ولا
يدخلك الجنة فقبضت ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد اكنت بي عالما او كنت على
ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة وقال للآخر اذهبوا به الى النار آخر قوله في حديث
ابي هريرة انه الرجل عابد بشر الى قوله في هذا الحديث احدهما مجتهد في العبادة وفي هذه
الاحاديث بيان خطر اللسان وذمه وشدة التحذير من الكلام كما في حديث معاذ قلت يا رسول
الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم
او قال على مناخرهم الا حصايد السنتهم والله اعلم قوله باب لا يستشفع بالله على خلقه
وذكر الحديث وساق ابو داود مما في سننه الم مما ذكره المصنف رحمه الله ولفظه عن جبير بن محمد بن جبير
ابن مطعم عن ابيه عن جده قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم اعرابي فقال جهدت الانفس وضاع العيال ونهكت
الاموال وهلكت الانعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويحك اتدري ما تقول وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال ويحك
انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه شان الله اعظم من ذلك ويحك اتدري ما الله ان عرشه على سمواته هكذا
وقال باصبعه قبل القبة عليه وانه ليئط به اطيط الرحل بالراكب قال ابن ياسر في حديثه
ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته قال الحافظ الذهبي رواه ابو داود باسناد حسن عنده في الرد
على الجهمية وحسنه غيره وقول ابن ياسر قوله ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه فانه تعالى
رب كل شيء ومليكه والخير كله بيده لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا يكون الله
ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض وكان عليما قديرا انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
والخلق وما في ايديهم ملكه يتصرف فيهم كيف شاء وهو الذي يشفع الشافع اليه وهذا انكر على الاعرابي
قوله وسع الله كرسيه وعظمه لان هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وتعالى ان شاء الله اعظم مما ذكر وفي هذا
الحديث اثبات علو الله على خلقه وان عرشه على سمواته وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون
والائمة خلافا للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن اخذ عنهم كالاشاعرة ونحوهم ممن الحد في اسماء الله وصفاته
وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلت عليه من اثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله جل وعلا كما عليه
السلف الصالح والائمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة فانهم اثبتوا لله ما اثبته لنفسه واثبته له رسوله من
صفات كماله على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في مفتاح
دار السعادة بعد كلام سبق فيها يعرف العبد بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته قال بعد ذكر والثاني

شبكة الألوكة www.alukah.net

يتجاوز هذا الى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له ابواب السماء فيجول في افطارها وملكوتها وبين ملائكتها
ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب الى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله و
مجده ورفعته يرى السموات السبع والارضين السبع بالنسبة اليه كحلقة ملقاة بارض فلاة
ويرى الملائكة حافين من حوله العرش لهم زجل بالتسبيح والتقديس والتكبير والاخر ينزل من
فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها الا ربها وملكها فينتزل الامر باحياء قوم واماتة قوم
آخرين واعزاز قوم واذلال آخرين وانشاء ملك وسلب ملك ونقل نعمة من محل الى محل وقضاء
الى حاج على اختلافها وتباينها وكثرتها من جبر كسير واغناء فقير وشفاء مريض وتفريج
كرب ومغفرة ذنب وكشف ضر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ودر آبق واعانة
خائف واجارة مستجير ومد لضعيف واغاثة للهوف واعانة لعاجز وانتقام من ظالم وكف
لعدوان فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في اقطار العوالم
لا يشغله شيء منها عن سمع غيره ولا تغلطه كثرة المسائل واللوائح على اختلافها وتباينها واتحادها
وفنائها ولا يتبرم بالحاح الملحين ولا تنقص ذرة من خزائنه لا الله الا هو العزيز الحكيم فحينئذ
يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقا لهيبته خاشعا لعظمته عان لعزته فيسجد بين يدي
الحق المبين سجدة لا يرفع راسه عنها الى يوم المزيد فهذا سفر القلب وهو في وطنه ودار
محل حلته وهذا من اعظم آيات الله وعجائب صنعه فالمؤمن سفره الى ربه واروحه واعظم
ثمرته وزكى واجل منفعته واخص فائدته سفر هو حياة الارواح ومفاتيح السعادة
وغنيمة العقلاء والالباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب انتهى كلامه رحمه الله تعالى واما
الاستشفاع بالرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد به استجلاب دعائه وليس خاصا به صلى الله عليه وسلم
بل كل صالح يرجى اجابته يستجاب فلا باس ان يطلب منه ان يدعو للسائل بالمطالب الخاصة
والعامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لما اراد ان يعتمر من المدينة لا تنسنا يا اخي من صالح دعائك واما
الميت فانما شرع في حقه الدعاء له على جنازته ودفنه وفي غير ذلك وهذا هو الذي شرع في حق الميت
واما دعاؤه فلم شرع بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه كما قال تعالى والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون
بشرككم فمن ادعاه من لا يسمع ولا يستجيب كفر شرعا يكفر به المدعو يوم القيامة
اي ينكره ويعادي فاعله يوم القيامة كما في آية الاحقاف واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين فكل ميت او غائب لا يسمع ولا يستجيب لا ينفع ولا يضر والصحابة رضي الله عنهم

لا سيما

لا سيما اهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين لم ينقل عن احد منهم ولا عن غيرهم انهم ازلوا حاجتهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حتى ولا وقائع جدب كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي خرج بالعباس
عم النبي صلى الله عليه وسلم فامر ان يستسقي لانه حي حاضر به قادر فلو جاز ان يستسقى بأحد بعد
وفاته لاستسقى عمر رضي الله عنه في السابقين الاولين بالبخ صلى الله عليه وسلم وبهذا يظهر الفرق بين الحي و
الميت لان الحي المقصود من الحي دعاؤه اذا كان حاضرا فانهم في الحقيقة انما توجهوا الى الله بطلب دعاء
من عنده ويتضرع اليه وهم كذلك يدعون ربهم فمن تعدى المشروع الى غير شرع ضل واضل ولو كان
دعاء الميت خيرا لكانه الصحابة اليه يستدعونه عليه احرص وبهم الليق وبحقه اعلم واقوم فمن تمسك بشيء
الله كاذب تركه واعتمد على عقله فهلك والله الموفق قوله باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسد طرق الشرك حمايته صلى الله
عليه وسلم حمى التوحيد عما يشوبه من الاقوال والاعمال التي تضعف معها التوحيد وتنقص وهذا
كثير في السنة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم كقوله لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم
انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وتعليم قوله انه لا يستعاذ بي وانما يستعاذ بالله عز وجل
ونحو ذلك ونهيه عن التمادح وشدة القول فيه لقوله لمن مدح انسانا ويلك قطعت عنق صاحبك
والحديث اخرجه ابو داود عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه ان رجلا اثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له قطعت عنق صاحبك ثلاثا وقال اذا لقي احدكم المداحين فليحثوا في وجوههم التراب اخرجه مسلم
والترمذي وابن ماجه عن المقداد بن الاسود وفي هذا الحديث ان لا يقولوا انت سيدنا وقال
الله تبارك وتعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وفيها هم ان يقولوا افضلنا فضلا واعلمنا طولا وقال لا يستجرينكم
الشيطان وكذلك قوله في حديث الشفاعة انا سافاتي فاقول يا رب امتي امتي فيقول انطلق فاخرج من كان في قلبه
فاقول يا رب الناس قولوا نقل لكم او بعض قولكم ولا ينهون بكم الشيطان كره صلى الله عليه وسلم ان
يواجهوه بالمدح فنهى الى الغلو واخبر صلى الله عليه وسلم ان من اوجب المدح للمدوح بمدحه
ولو عافية عمل الشيطان فانتفى محبة المدح اليه من تعاظم الممدوح ونفسه وذلك ينافي كمال التوحيد
فان العبادة لا تقوم الا بتعظيم ربها الذي لا يتعظم ولا ينبغي التعظيم الا له وذلك غاية الذل غاية الحب وكمال الذل
يقتضي الخشوع والخشية والاستكانة لله تعالى وان لا يرى نفسه الا في مقام الذل لها والمعاتبة
لها في حق ربه وذلك محض الحب لا تحصل غايته الا اذا كان يحب ما يحبه الله ويأمر به ما يكرهه الله فالاقوال
والاعمال والارادات والمحبة المبنية في العبد لنفسه تنافي ما يحبه الله فالمدح نهى عن نفسه والمادح نهى عن نفسه
فكيف ان تضمن مقام العبودية يقتضي كراهة المدح راسا وانتهاء عن صيانة لهذا المقام
ومتى اخلص العبد الذل لله والمحبة له خلصا عما له وصحة ومتى دخل عليها ما يشوبها من هذه الآفات

شبكة الألوكة www.alukah.net

دخل على مقام العبودية بالنقص او الفساد اذا اداء المدح الى التعاظم في نفسه والاعجاب بها وقع في
امر عظيم بنافي العبودية الخاصة كما في الحديث الكبر رداي والعظمة ازاري فمن نازعني شيئا
منهما عذبته وفي الحديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وهذه الآفات قد تكون محبة
المدح سببا لها وسلما اليها والعجب باهل الحسنات كمايل كل النار الحطب واما المادح فهو بفضي
المدح الى اهلاك الممدوح فمن ثم لا يستحق كما بن حجر كثيرا من اشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول
صلى الله عليه وسلم وحذر امته ان يقع منهم فقد وقع الكثير منه حتى صرح البعض الشرك في اكربوبية والالهية
والملك كما تقدم الاشارة الى شيء من ذكره والنبي صلى الله عليه وسلم لما اكمل الله له مقام العبودية ضار يكره
ان يهلج صيانة لهذا المقام واسد الامة الى تركه ذكر نصائحهم وحمايته لمقام التوحيد عن ان يدخله
ما يفسده او يضعفه من الشرك ووسائله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ورغبوا ان فعل
ما نهاهم عنه صلى الله عليه وسلم عن فعله قربة من افضل القربات وحسنة من اعظم الحسنات وما تسمية العبد
بالسيد فاختلف العلماء فيه فقال العلامة ابن القيم رح في بدائع الفوائد اختلف الناس في جواز اطلاق
السيد على البشر فمنعه قوم ونقل عن مالك واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا سيدنا قال
السيد الله وجوزه قوم واحتجوا بقوله النبي صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم وهذا اصح من الحديث الاول
قال هو لا السيد احد ما يضاف اليه فلا يقال للتميمي سيد كندة ولا يقال الملك سيد البشر قال وعلى هذا
فلا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم وفي هذا نظر فان السيد اذا اطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك والمولى والرب
لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق فانه لم يرد قط في صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى قول الله تعالى قل اغير الله
ابغي ربا اي الها وسيدا وقال في قول الله تعالى الصمد انه السيد الذي كمل في نوع جميع انواع السودد
وقال ابو وايل هو السيد الذي انتهى سوددة ولما استند لا لهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا الى
سيدكم فانظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يواجههم سعد به فيكون في هذا المقام تفصيل والله اعلم قوله

باب قول الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا

قبضته يوم القيمة والسموت مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون اي من الاحاديث
والآثار في معنى هذه الآية الكريمة قال العماد بن كثير رح الله تعالى يقول تعالى ما قدروه حق قدره المشركون به حق قدره
حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا اعظم منه القادر على كل شيء والملك لكل شيء وكل شيء تحت
قهره وقدرته قال السدي ما عظموه حق عظمته وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه
وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس لم يعظموا بقدرة الله عليهم فمن آمن ان الله على كل شيء قدير
فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت احاديث كثيرة متعلقة بهذه
الآية الطريق فيها وفي امثالها مذهب السلف وهو امرارها كما جاءت من تكييف ولا تحريف وذكر

حديث

حديث ابن مسعود كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى هذا الباب قال ورواه البخاري في صحيحه في غير موضع ومسلم والامام احمد
والترمذي والنسائي كلهم من حديث سليمان بن مهران هو الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه
قال جاء حبر من احبار اهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ابلغك ان الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع
والسموت على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه قال وانزل الله وما قدروا الله حق قدره الآية وهذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الاعمش
به وقال الامام احمد حدثنا الحسين بن حسن الاشقر حدثنا ابن كديمة عن عطاء عن ابن الضحى عن ابن عباس
قال ورجل من يهود يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس قائل كيف تقول يا ابا القاسم يوم يجعل الله السموات على ذه
واشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كلما ذكر شيئا اصبع فانزل الله وما
قدروا الله حق قدره وهكذا رواه الترمذي في التفسير عن ابي الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح
غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثنا عبد الرحمن بن خالد
ابن مسافر عن ابن شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن ان ابا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه فيقول انا الملك اين ملوك الارض تفرد به البخاري
من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر قال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمي القاسم بن يحيى
عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبض يوم القيمة الارض
الارضين وتكون السماء بيمينه ثم يقول انا الملك تفرد به ايضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه
الامام احمد من طريق آخر بلفظ اوسط من هذا السياق وطولها قال حدثنا غندر حدثنا حماد بن سلمة
انا اسحق بن عبد الله ابن ابي طلحة عن عبد الله بن مقسم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وهو
على المنبر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى
عما يشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها ويقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه انا الجبار
انا المتكبر انا الملك انا العزيز انا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به قوله
وسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله عز وجل السموات ثم يأخذهن
بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم يأخذهن
بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون هذا في رواية مسلم قال الحميدي
وهي اثر وهو عند مسلم من حديث سالم عن ابيه واخرجه البخاري من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال ان الله يقبض يوم القيمة الارضين وتكون السماء بيمينه اخرجه مسلم من حديث عبيد الله بن مقسم قلت
هذه الاحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله وعظم قدره تعالى وعظم مخلوقاته وقد توعد سبحانه وتعالى

شبكة الألوكة www.alukah.net

بصفاته وعجائب مخلوقاته وكلها تعرف وتدل على كماله وانه هو المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته وتدل
على اثبات الصفات لله ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل وهذا هو الذي دل
عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الامة وائمتها وهو ينعم باحسان واقتفى آثارهم علماء السنة والايمان
وتامل ما في هذه الاحاديث الصحيحة من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ربه بذكر صفات كماله على
ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما اخبروا به عن الله من الصفات الدالة على عظمة الله تعالى
وتامل ما فيها من اثبات علو الله تعالى على عرشه ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لربه شيئا فنفى ان ظاهرها غير
مراد وانها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه فلو كان هذا حقا بلغه آمينه امته فان الله اكمل
به الدين واتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وتبعهم الى يوم الدين
ونقل الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ما وصف به ربه من صفات كمال ونعوت جلال فآمنوا
به وآمنوا بكتابه وبما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا كما قال تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كل من عندنا وكذلك اتباعهم باحسان وتابعوهم والائمة في المحدثين والفقهاء
كلهم وصف الله بما وصف به نفسه وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحدوا في الصفات ولا قال
احد منهم ان ظاهرها غير مراد وان الله يلزم من اثباتها التشبيه بل انكروا على من قال ذلك غاية الانكار
وصنفوا في ذلك في التوحيد والسنة المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بايدي اهل السنة والجماعة
قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وهذا كتاب الله من اوله الى آخره وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الائمة مملوء بما هو نص او ظاهر ان الله تعالى
فوق كل شيء وانه فوق العرش فوق السموات مستويا على عرشه مثل قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي وقوله تعالى بل رفعه الله اليه
وقوله تعالى ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج
اليه وقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله تعالى هو الذي خلقكم في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات وقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على
العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين وقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون
فذكر التوحيد في هذه الاية وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش
وقوله تعالى تنزيل من خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى وتوكل على الحي الذي
لا يموت سبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى

على العرش

على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا وقوله تعالى انه الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم
يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة فالتحديد في وقد هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم
اينما كنتم والله بما تعملون بصير فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم احاطته وعموم ربوبيته وقوله تعالى
ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
فستعلمون كيف نذير وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد وقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم وقال فرعون تعالى يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى واني لاظنه كاذبا انتهى كلامه رحمه الله تعالى قلت وقد ذكر الائمة رحمهم الله تعالى
فيما صنفوه في الرد على نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والاشاعرة ونحوهم اقوال الصحابة والتابعين
فمن ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب العلو وغيره بالاسانيد الصحيحة عن ام سلمة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم انه قالت في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول
والاقرار به ايمان والجحود به كفر رواه ابن المنذر والالكائي وغيرهما باسانيد صحاح قال وثبت عن ربيعة
رحمه الله تعالى انه قال لما سأله ربيعة بن عبد الرحمن كيف الاستواء قال الاستواء غير مجهول والكيف غير
معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق يعني قال عن وجدنا عنده فالك
رحمه الله فدخل رجل فقال يا ابا عبد الرحمن الله على العرش استوى كيف استوى فاطرق مالك رحمه الله
واخذته الرحضاء وقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع
وانت يا صاحب بدعة اخرجوه رواه البيهقي باسناد صحيح وبمعناه عن ربيعة وليث وزاد ورواه عن مالك
ايضا وقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة قال
الذهبي فانظر اليهم كيف اثبتوا الاستواء لله واخبروا انه معلوم لا احتاج لفظ الغير
ونفوا عنه الكيفية قال البخاري في صحيحه قال مجاهد استوى على عرشه وقال استوى بمعنى علا وارتفع
سمعت عبدا واحدا من المفسرين يقول الرحمن على العرش استوى اي ارتفع وقال محمد بن جرير الطبري
في قوله تعالى استوى على العرش الرحمن علا وارتفع وشواهد ذلك في اقوال الصحابة والتابعين في
امثالهم فمن ذلك قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

شهدت بانه ووعد الله حق ... وان النار مثوى الكافرينا

وان العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحمل ملائكة شدادا ... ملائكة الاله مسومينا

وروى الدارمي والحاكم والبيهقي باصح اسناد ان علي بن الحسين بن شقيق قال سمعت عبد الله بن المبارك يقول نعرف ربنا بانه فوق سبع سمواته على العرش

استوى بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية قال الدارمي وحدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا علي بن الحسين
ابن شقيق عن ابن المبارك قيل كيف نعرف ربنا قال بانه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه
وقد تقدم قول الاوزاعي كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى فوق عرشه بائن من خلقه ونؤمن بما
ورد به السنة وقال ابو عمر الطلمنكي في كتاب الاصول اجمع المسلمون على ان الله استوى على عرشه
بذاته وقال في هذا الكتاب ايضا اجمع اهل السنة على ان الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز
ثم ساق باسناده عن مالك قوله الله في السماء وعلمه في كل مكان ثم قال في هذا الكتاب اجمع المسلمون من اهل السنة
الذين يعتد بهم انه تعالى فوق سمواته على عرشه بذاته وهو معكم اينما كنتم وكقوله تعالى ءاانتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا وهذا لفظه في كتابه وهذا كثير في كلام الصحابة والتابعين والائمة المتبوعين ابانه
الله في كتابه على لسان رسوله وعلى الحقيقة لا على ما يليق بجلال الله وعظمته ونفى عنه مشابهة المخلوقين ثم
يكيفوا كما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب قال الحافظ الذهبي ولو وقفت على من سمعت قاله
من انكر ان الله تعالى فوق العرش لعددته في درجة وكذا انكر جميع الصفات وقال خالد بن عبد الله القسري
قصته مشهورة فاخذ هذه المقالة عنه الجهمية صغواة اقوام الجهمية فاظهر واصبح لها بابا كبيرا
وكان عدد في آخر عصر التابعين فانكر مقالته ائمة ذلك العصر مثل الاوزاعي وابن حنيفة ومالك
والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ومن تبعهم من ائمة الهدى
فقال الاوزاعي امام اهل الشام حيال راس الخمسين ومائة عنظهر هذه المقالة اخبرنا عبد العزيز
الاردي بسنده الى ابي بكر البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرني محمد بن علي الكوهرني ببغداد
حدثنا ابراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيصي سمعت الاوزاعي يقول كنا والتابعون متوافرون
نقول ان الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته اخرجه البيهقي في الصفات ورواته
ائمة ثقات وقال الامام احمد اذا قرىء حديث الصفات لا نتوهم فيه احدا ولا نرد منها حرفا ونعلم ان ما جاء به
حق وان رسول الله لم يكن يكلم بالباطل بعد ثبوت الحجة عليه كفرا وما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل وتثبت هذه الصفات وتنفى عنه
التشبيه كما نفى عن نفسه فقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انتهى من فتح الباري

قوله وعن العباس بن عبد المطلب ساقه المصنف رحمه الله تعالى مختصرا والذي رواه مسلم في اول كتاب الايمان
عن العباس بن عبد المطلب كما في البخاري في اول غزوة حنين قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخر نبهم سبعة عشر رجلا
البيهقي وقال اما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والعنان قالوا والعنان
قال ابو داود ولم اتقن العناق جدا قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض قالوا الله ورسوله اعلم قال
ان بعد ما بينهما اما واحدة او اثنتين او ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك

مطلب مفيد

ص

حتى عد سبع سماوات فوق السابعة بحر بين اسفلها واعلاها مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء عاظهورهم العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى
ثم الله تعالى فوق ذلك رواه ابو داود باسناد حسن وروى الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وقال الحافظ الذهبي
رواه ابو داود باسناد حسن وروى الترمذي من حديث ابي هريرة وفيه بعد ما بين سماء الى سماء
خمسمائة عام والماء بينهما لا ان تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير الغافلة فقط
وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وبين الكرسي والماء
مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله تعالى فوق العرش لا يخفى عليه شيء من اعمال بني آدم
وقد تقدم قول الاوزاعي كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله فوق عرشه ونؤمن بما ورد به السنة من صفاته
وروى الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وقال الحافظ الذهبي
رواه ابو داود باسناد حسن وروى الترمذي من حديث ابي هريرة وفيه بعد ما بين سماء الى سماء
خمسمائة عام والماء بينهما لا ان تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير الغافلة فقط
وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله تعالى فوق العرش لا يخفى عليه شيء من اعمال بني آدم

وافق الفراغ من تبييض هذا الشرح الشريف وكتابة المنيف
صبيحة يوم الاربعاء العاشر من عشرين من شهر صفر من
شهور سنة ١٣٤١ فليعلم الفقير الى رحمة ربه الملك
سعد بن محمد بن حمد بن عتيق غفر الله له
ولوالديه ولاحبابه في الله ولجميع
المسلمين آمين
آمين
آمين
يا رب العالمين

شبكة الألوكة www.alukah.net